

اغتيال

اغتيال

رواية

مريم حنا

اغتيال

رواية

اسم الكاتبة: مريم حنا

تدقيق لغوي: فريق المكتبة العربية للنشر والتوزيع

الإخراج الفني: جمال عبدالرحيم

الطبعة / الأولى

رقم الإيداع: ٢٠١٨ / ١٣٤٨٩

طبعت بمطبعة الشروق

حقوق التوزيع



[Facebook.com/arabiclibrary2017](https://www.facebook.com/arabiclibrary2017)

جميع الحقوق محفوظة

(١)

انهيار

وقفت تنظر إلى نفسها في المرآة تتأمل الخطوط الرفيعة التي قسّمت خريطة وجهها الأبيض الغض إلى سهول ووديان، فالخط الفاصل بين بحر عينيها الزرقاوين وبين أنفها المدبب الشامخ كقمة جبل افريست الشاهقة التي لا تتأثر بفعل عوامل الطبيعة المتغيرة، أما خديها الرشقيقين وفمها الدقيق الذي لا يقل جمالاً عن جمال عينيها، فزادها جمالاً رغم الحزن الناضح منهما، وهذا الشعر الأشقر الذهبي الذي تخللته بعض الشعيرات البيضاء جعلته يبدو كتاج مصنوع من الذهب الخالص يتشابك بسلاسل من الكريستال اللامع.

لم تبال ديانا بتلك التجاعيد الدقيقة والتي خدشت وجهها النضر مؤخراً، فالشقوق التي حفرت قلبها الأخضر، والتصدمات التي شقت أرض روحها الخصبة لا يفعل الطبيعة بل بفعل البشر القساة هي الأكثر ايلاماً. مر شريط الذكريات الأليمة أمام عينيها وكأن مرآتها تحولت فجأة إلى شاشة عرض سينمائي تعرض لها فيلماً كئيباً هي بطلته، وهي فقط المشاهدة الوحيدة.

عادت بذاكرتها المرهقة إلى أكثر من خمسة وثلاثين عاماً هي كل عمرها المدهوس تحت عجلات قطار الحياة، بدءاً بطفولتها التعيسة، مروراً بمراهقتها وشبابها التي هي بمثابة نقطة بيضاء وسط كل هذا الكم الهائل من الظلام الحالك لأنها سرعان ما انتهت ببداية زواجها الذي قضى نحرها قبل الأوان.

وسط كل هذه الكومة الهائلة من الذكريات وقفت تبحث عن قشة يتعلق بها قلبها المشقوق فلم تجد سوى شيئين وحيدين الذين خرجت بهما من هذا الزواج الذي سلب منها كل شيء جميل، فهذه رحمة الله بنا، يولد من رحم المَحَن مَنح إلهية يكافأنا بها عما تجرعتة قلوبنا من أوجاع.

الشيئين أو العظييتين الرائعتين هما ابنيها وليام وهاري، ماذا سيكون حالهما بعد الطلاق (حدثت نفسها)، كلمة الطلاق حين قُذفت من بين شففتها أشعرتها بطعنة نافذة في قلبها، ما أبشعها من كلمة على أي امرأة، تكمن قسوتها فيما تحمله من معاني الفشل والنهاية، نهاية حياة زوجية وإن كانت على يقين من البداية أنها النهاية المحتومة منذ أول يوم أُغلق عليهما باباً واحداً، إلا أنها كانت تُمَتِّي نفسها بإصلاح الحال الذي لم ينصلح أبداً. فمنذ سبعة عشر عاماً هي عمر زواجها من أمير بريطانيا العظمى لم تذق فيها ديانا طعم السعادة يوماً، بل تجرعت كل نكهات العذابات النفسية والمعنوية، محاولةً خلال تلك السنين المنصرمة أن تغير قلب زوجها الذي أحبته ولم يعرف لحبها طريقاً لانشغاله بحب امرأةٍ أخرى، والتي هي من تسببت بشكل مباشر أو غير مباشر في انهيار زواجهما.

اغرورقت عيناها بالدموع وفي غفلة منها اندفعت على خديها دون لفت نظر أو استئذان، شعرت فجأة بالدوار يلف بها جدران الغرفة فألقت بجسدها المنهك على سريرها دون أي مقاومة منها، افترشت السرير بذكرياتها وتمددت عليها معلقةً عينيها على سقف غرفتها بشقتها بلندن والتي شهدت أيام مراهقتها وشبابها قبل ارتباطها بتشارلز.

كانت هذه الشقة تقع شمال قصر "كنزنتن" القصر الملكي الذي تعيش فيه منذ أربع سنوات هي وطفليها بعد انفصالها بشكل غير رسمي عن زوجها.

نهضت متناقلة تترنح يميناً ويساراً باتجاه باب الغرفة حتى وصلت أخيراً إلى الصلاة، أستندت بيدها على دهليز الدرج الحديدي ناظرة لأعلى تجاه الطابق الثاني محاولةً الصعود لكنها لم تستطع، ألقت بجسدها على الأريكة التي بجوار الدرج، انتابها شعور آخر فوق كتلة المشاعر المتضخمة التي تملكها وهو شعور بالاختناق، تفكر في انتهاء حياتها لكنها تتراجع، مفكرةً في طفلها أو في روحها وقلبيها كما كانت تلقيهما.

وبينما هي غارقة في محيط أحزانها جرفتھا دوامته في برائتها، لم ينقذھا منه سوى صوت رنين الهاتف الذي ظل يدق بالبحاح شديد، لم تَرِدْ أن تَرُدْ وتركتھ يصدر رنينه المزعج حتى انتهى، لكنه سرعان ما عاود مناداتها بنفس الإلحاح وبمزید من الإصرار، فما كان منها إلا أن انتزعت فيشة الهاتف من مكانها بالحائط، كي تنهى مطاردة الهاتف لها واصراره الغير مرغوب على اقتحام وحدتها، حتى لو كان هدفه مساعدتها ومحاولة القفز إليها عنوة لاجراجها من هذا اليم قبل أن يسطو عليها حوت الذكريات المفترس وينهش ماتبقى منها بين أنيابه الحادة.

فتحت حقيبة ملابسها التي مازالت مغلقة منذ أن أتت بها في الظهيرة أي ما يقرب من حوالي خمسة ساعات لا تدري كيف مضت رغم ثقلها، أفرغت محتوياتها وأخرجت منها صندوقاً صغيراً، فتحتھ وأخرجت منه ظرفاً أصفراً، فضته وما إن وقعت عينها على ما فيه حتى انهارت باكياً بحرقه، فلم تمالك نفسها أمام صور أبنها اللذان جمعتهما كثير من هذه الصور بها، والقليل منها بزوجهما أو بالأحرى طليقهما.

كلما قلبت في الصور تتحسس الأشخاص الذين فيها بأطراف أصابعها الدقيقة وتقرهم لشفاها الرقيقتين الملتهبتين حزناً وشوقاً تلثمها وتعيدها إلى مكانها حسب ترتيبهم بين باقي الصور، وترتيبها في قلبها.

وبينما لم تكن قد أكملت مشاهدة باقي الصور حتى انطلقت من قلبها صرخة ألم رجت كل أركان شقتها بطابقيها، انفتحت على إثرها ينابيع عينها التي أبت أن تجف حتى أصبحت لا ترى الأشخاص في الصور الباقية في يدها، والتي سقطت مع باقي الصور من يدها المرتعشة على الأرض .

كان نهار يوم ٢٨ أغسطس عام ١٩٩٦ ميلادية، وعلى الرغم من حرارة الطقس إلا أنها كانت ترتجف بشدة، شعرت أن مجرى من النهر البارد يتسلل إلى جسدها، مسبباً ارتفاعاً هائلاً في درجة حرارتها، حاولت النهوض من على الأريكة كي تعود لغرفتها لتستريح إلا أن قدمها خذلتها، وسقطت على الأرض مغشياً عليها.

(٢)

أميرة القلوب

تزرع الغرفة ذهاباً وإياباً في توتر وقلق واضحين، نظرت في ساعتها ثم توجهت إلى الهاتف، ضربت رقماً وانتظرت ثوانٍ دون رد، أعادت السماع لمكانها، وانتفضت من على المقعد الخشي أكثر توتراً وقلقاً.

- قلبي يحدثني إنها ليست بخير..

نطقت أخيراً ليزا صديقة ديانا ورفيقتها في شقة العزوبية بلندن قبل زواجهما، امرأة ثلاثينية متوسطة العمر والطول، نحيفة، ذات عينين خضراوين وشعر أحمر قصير جداً.

- لا تقلقي عزيزتي .. قالها مارك زوجها الأربعيني فارح الطول، أشقر الشعر، أخضر العينين .. ربما تكون نائمة أو أنها ليست بالشقة.

- لا لا أنا متأكدة أنها بالشقة.

تجلس على الأريكة.

- فهي بحالة لا تسمح لها بالتواجد بالقصر أو الذهاب لأي مكان، أنا أعرف ديانا جيداً، عندما تستاء حالتها النفسية تنعزل في شقتها بعيداً عن أعين الناس وخاصةً الصحافة .

تنهض منتصبية وكأنها تذكرت شيئاً هاماً.

- سأذهب إليها فوراً لا يمكنني الانتظار أكثر من ذلك.

تتجه ناحية باب شقتها.

- انتظري ليزا، أبادل ثيابي وآت معك.

- لا ليس هناك وقت، ابق أنت مع "سام ودان" كي لا نتركهما وحدهما، وسأذهب أنا إليهما لأطمئن عليهما.
- كما تودين، لا تنسي أن تطمئني عليهما.
- حسنٌ .. حسنٌ إلى اللقاء.

أخذت حقيبتها من على المنضدة ومفاتيح سيارتها وفتحت باب الشقة وهرولت على درجات السلم .

فتحت باب سيارتها وقفزت بداخلها وأدرات محرك السيارة وانطلقت بسرعة جنونية وكأنها في سباق للسيارات، قطعت المسافة ما بين شقتها إلى شقة صديقها في أقل من نصف الوقت المفترض أن تقطعه فيه، حين وصلت إلى المبني الذي كان فيه شقة ديانا، أوقفت سيارتها، ترجلت مسرعةً إلى المصعد، ضغطت على زر رقم (١١) حيث الدور الذي تقطن فيه ديانا، وصلت في لمح البصر، ضغطت جرس الباب مرات متتالية دون استجابة، طرقت الباب طرقات عالية في انفعال، وضعت أذنها على الباب عليها تسمع صوت يأتيها من خلفه يطمئنها، لكن لم يحدث، تذكرت أنها لازالت تحتفظ بنسخة من مفتاح الشقة وسط مجموعة مفاتيحها، أرادت أن تخرجه من حقيبتها لكنها اكتشفت المفاجأة؛ أنها نسيت حقيبتها بالسيارة بسبب توترها وسرعتها، فضربت جبهتها ببطن يدها ..

- أوه لقد نسيت حقيبي في السيارة، ما هذا اليوم الغريب.

جرت نحو المصعد، ضغطت على زر (0) المشير إلى الدور الأرضي، هبطت في ثوانٍ معدودة، فتحت باب المصعد وجرت نحو سيارتها وفتحتها بعنف، تناولت حقيبتها في تدمر ممزوج بصوت أنفاسها العالية. ودقات قلبها المتسارعة، تعيد الكرة مرة أخرى، قفزت داخل المصعد، ضغطت زر ١١

وصلت أمام الشقة، أخرجت المفتاح من حقيبتها، حاولت فتح الباب لكن لم يرد المفتاح أن يتحرك يميناً أو يساراً، حيث أنها لم تقرب هذا الباب منذ سنواتٍ طويلة، بعد عدة محاولات أخيراً فُتح الباب.
 ما إن فُتح الباب حتى صرخت فزعة:
 - ديانا .

وجدتها ملقاة على الأرض دون حراك، جرت نحوها، جثت على ركبتيها، ضربت خدي صديقتها ضربات خفيفة محاولةً إفاقتها ..
 - ديانا .. ديانا

فلا مجيب، نهضت وهرعت نحو غرفة نوم صديقتها بشقتها التي كانت تحفظ معالمها عن ظهر قلب، كل شيء في مكانه ، لم يتغير من أثارها أو ديكوراتها شيء، فقد فضلت ديانا الاحتفاظ بكل تفاصيلها كما هي لأنها تذكرها بأجمل سنوات عمرها، رغم أنها كانت سنوات قليلة حوالي ثلاثة أعوام لا أكثر. هذا المكان الذي تقاسمت سعادتها فيه مع صديقتها الأقرب لقلبي "ليزا ماثيو" و"ماري جونز".

تناولت ليزا زجاجة عطر ديانا من على تسريحتها، وعادت إليها مسرعةً، جثت على ركبتيها مرة أخرى، رفعت رأسها على إحدى ذراعيها، وبإبهام اليد الأخرى ضغطت على بخاخ العطر ليتناثر منها رزاز العطر في الهواء، وما إن استنشقت ديانا حتى بدأت تفيق، فتحت عينيها، وجدت نفسها في حضن صديقة عمرها .

- ليزا! أنتِ هنا؟ ماذا حدث؟
 - الحمد لله (تنفست ليزا الصُعداء رافعةً عينيها إلى السماء) أشكرك
 ياإلهي إنك استجبت لتضرعي .. ثم ردت على ديانا:

- لا ترهقي نفسك بالكلام حبيبي، يبدو أنك متعبة، هيا ساعديني كي أدخلك إلى سريرك بغرفتك لتستريحي.

نهضت معها ديانا في تعب شديد حتى كادت أن تسقط منها على الأرض، أدخلتها غرفتها بصعوبة، ومددتها على سريرها، لكن سرعان ما عاد الفزع إليها حين جنّت جبينها وخدمها فوجدتهما حارين جداً كالنار الملتهبة، حتى كاد الدم أن ينفجر من وجهها، وزاد ارتجافها وماهي إلا ثوانٍ وقد غابت عن الوعي مرة أخرى.

- ياللهول، ديانا.. صرخت ليزا.

التقطت سماعة الهاتف الذي كان موضوعاً على الكوميدينو الصغير بجوار السرير، وضعتها على أذنها اليسرى فلم تسمع صوت الحرارة بالهاتف، خرجت للصالة أُلقت نظرة على فيشة الهاتف بالحائط وجدتها منزوعة من مكانها، وضعتها في مكانها وعادت للغرفة، التقطت السماعة ثانيةً لتجرب سريان الحرارة فيه، وما إن تأكدت من عودة الحرارة للهاتف طلبت زوجها مستنجدةً به..

- أدركني يامارك، ديانا فاقدة للوعي وحرارتها مرتفعة جداً، أرجوك تعال بسرعة لننقلها سوياً إلى المشفى.

- نعم نعم معك حق الأسرع أن أطلب لها الإسعاف، فلتلحق بنا في المستشفى، حسنٌ، سلام.

أغلقت الهاتف، ثم رفعت السماعة مرة أخرى وطلبت المستشفى ..

- ألو، مشفى لندن، من فضلك أريد عربة الإسعاف بسرعة صديقتي فاقدة الوعي.. تملي لهم العنوان ثم تغلق الهاتف.

قصدت ليزا أن لا تخبر المشفى بأن صديقتها هي الأميرة ديانا حتى لا تحدث بلبلة وارتباك، فلو وصل الخبر إلى مسامع الصحافة لن يتركوها وشأنها ومن الممكن أن يسبقوها إلى المستشفى، وهي تعرف أن ديانا تكره الصحافة التي طالما ضايقوها و اقتحموا حياتها دون هوادة.

في ثوانٍ معدودة أتت عربة الإسعاف وحملتها إلى مستشفى لندن ومعها ليزا مرافقة لها.

استقبلتها المستشفى في تمام الثامنة مساءً، وسرعان ما أدخلوها غرفة الافاقة،

وقفت ليزا في بهو الانتظار تبكي رافعة عينها إلى السماء، داعيةً الله أن يمد لصديقتها يد العون، ويخرجها من محنتها سالمةً.

- كيف حالها؟ .. سألها مارك الذي وصل للتو.
- أدخلوها غرفة الافاقة منذ قليل، أنا قلقة عليها جداً يامارك.
- لا تقلقي عزيزتي ستكون بخير، اجلسي لتستريحي .. يجلسان.
- تعرف يامارك، لأول مرة في حياتي أراها بهذا الانهيار، ديانا طيلة حياتها قوية، صلبة تشبه في صمودها صلابة الجبال، مهما قابلت من أهوال لا تنكسر أو تنهار.
- اعذريها ليزا، فكل ما رأته في حياتها ليس هيناً أبداً، وحدها تقف كالمحارب الشجاع تحارب في جهتين؛ جبهة زوجها والمملكة اليزابيث من ناحية، وجبهة الصحافة التي لم تدعها تمارس حياتها بشكل طبيعي دون تطفل أو تدخل في شئونها الخاصة من ناحية أخرى، لو كان شخصاً غيرها لمات قهراً، خاصةً ما قاسته من خيانة زوجها لها مع عشيقته كاميليا التي تملأ أخبارهما الصحف والمجلات.

- ليتهما ما تزوجته، كانت حياتها أهدأ كثيراً قبل أن تتزوج، ابيبه يا ديانا، لو كنت رأيتها قبل سبعة عشر عاماً حين كنا نسكن سوياً بشقتها أنا وهي وماري، لعجبت من نشاطها وحيويتها وإقبالها على الحياة، كانت ولا زالت ابتسامتها الجميلة لا تفارق وجهها أبداً، كانت لا تهدأ من الحركة يميناً ويساراً شرقاً وغرباً، كانت لا تترك ساكناً إلا وحركته بخفتها وحيويتها .. صممت لبرهة وكأنها تسترجع شريط ذكرياتها ثم أكملت:

- عندما كانت تتلقى دروس البيانو كانت تجمعنا أنا وماري لتسمعنا ما تعلمته من عزف، وكان عزفها رائعاً، كانت تستمتع بكل ما تفعله وتمتعنا به، في المدرسة كانت أفضل تلميذة من بيننا جميعاً في الرقص الإيقاعي، أما عن الروايات الرومانسية التي كانت مولعة بقراءتها فلا يسعني الوقت ولا المكان للحديث عنها، كانت تعيش السعادة وكأنها تعبيء نفسها بها لإخراجها في سنين الجذب التي ستخوضها في حياتها القادمة .

- هوني على نفسك عزيزتي.

ربت على كتفها، ثم أردف:

- ستتخطى محنتها بمشيئة الرب، ومن يعلم يجوز أن يكون الطلاق هو بداية حياة جديدة بالنسبة لها، محتمل أن تعيش حياةً أسعد وتحقق ما لم يمكنها تحقيقه في الزواج.

- أتظن؟

- ولم لا؟ عموماً فلنصلي لها كي يمنحها الرب سلاماً وليتدبر أمرها.

- يارب .

نظرت إلى السماء ثم نظرت إلى زوجها وكأنها تذكرت شيئاً .

- حقاً أين الأولاد؟

- لا تقلقي فقد تركتهما مع جارتنا جوليا وأخبرتها أننا لن نتأخر عليهما.

وبينما يتحدثان خرجت ديانا من غرفة الإفاقة، وقد أفاقَت بالفعل، كانت الساعة الثامنة وعشرون دقيقة، كانت محمولة على السرير المتحرك استعداداً لوضعها في غرفة بالمستشفى.

- ديانا حبيبي، ها أنت استعدتِ وعيك، شكراً للرب على سلامتك .

ابتسمت ديانا دون رد.

- يبدو أنها ما زالت متعبة ليزا، فلنتركها لتستريح، ونغادر نحن ونأتيها في الصباح.

- لا ، لن أتحرك من هنا قبل الاطمئنان عليها.

يلحقان بها إلى غرفتها التي وُضعت بها، يخبرهم لفيف الأطباء الذين تعاونوا على إفاقتها أنها بخير.

- إنها بخير، لكن من الأفضل تركها بالمستشفى للغد لتستعيد عافيتها، حتى يمكنها المغادرة ونحن مطمئنين عليها.

قالها أحد الأطباء، ثم غادر كل الأطباء ما عدا طبيباً واحداً ظل معها، وقام بتعليق المحاليل الطبية لها ووضعاً في يدها كانيولا.

- ليزا.

نادت ديانا صديقتها بصوتٍ واهن.

- نعم حبيبي، أنا هنا بجوارك .

تمسك يدها بين كفيها.

- أشكرك على ما فعلتِه معي، لولاكِ ما كنت الآن على قيد الحياة.

- أبعد الله عنك كل مكروه ، وأطال في عمرك .
- حمداً لله على سلامتكم ديانا.
- أشكركم مارك، فلتأخذ ماري وتعودان لبييتكما، أنا بخير حمداً لله.

تجس ليذا جبهة صديقتها.

- شكراً للرب، درجة حرارتك انخفضت وعادت لطبيعتها.

مازال الطبيب يعتني بها، وضع لها جهاز مقياس ضغط الدم أعلى ذراعها مخبراً إياها:

- ضغط الدم مضبوط، لقد اطمئنتُ عليك، حمداً لله على سلامتكم سمو الأميرة.

نظرت إليه ولفت انتباهها لون بشرته الخمرى، ونعومة شعره الكستنائي الذي يشي بأنه هندي أو ما شابه.
لاحظ نظراتها المتسائلة، فابتسم لها بلطف قائلاً:

- أنا الطبيب حسنت خان، باكستاني الجنسية، جراح القلب هنا بالمستشفى، من حسن حظي أنني كنتُ واحداً من كونسولتو الأطباء المشرفين على افاقتك سمو الأميرة.
- أشكركم جزيلاً دكتور.
- تبدين أكثر جمالاً مما نراكِ على شاشات التلفاز والصحف.

ابتسمت ديانا في خجل:

- هذا من لطفك دكتور حسنت.
- يمكننا الآن أن نتركها تستريح.
- قال الطبيب موجهاً كلامه إلى ليذا وزوجها.

- سأكتب لها مغادرة صباحاً بعد اطمئناني عليها بشكل تام، فهي ليست بحاجة للبقاء أكثر.
 - حسناً دكتور.. قالت ليزا .. إلى اللقاء ديانا.
 - إلى اللقاء ماري، قبلي لي دان وسام.
 - حسنٌ حبيبي .. سلام
 - سلام
 - يفادران الغرفة
 - لا أدري كيف أشكرك دكتور حسنت، أتعبتك معي .
 - لا تقولي هذا سمو الأميرة، نحن جميعاً في خدمتك، فالجميع يحبك يا أميرة القلوب .
- كلمة أميرة القلوب حين نزلت على مسامعها أنعشت روحها التي كادت تفارقها منذ دقائق لولا صديقتها وهذا الطبيب الوسيم، ذو العينين العسليتين الحائيتين، كأنه ملاك الرحمة الذي أرسله لها الله لشفائها وتعزيتها.
- أتركك الآن لتستريح، وضعتُ لكِ في المحلول نوعاً من الأدوية سيجعلك تنامين في هدوء حتى الصباح.
 - حسنٌ دكتور، أشكرك مرة أخرى.
 - لا داعي للشكر سمو الأميرة، أنا لم أفعل سوى واجبي، تصبحين على خير.
 - تصبح على خير.
- أغلقت ديانا اضاءة الغرفة وقبل أن يسير الخدر في جسدها أكملت شرودها في ذكرياتها، لكن هذه المرة اختارت منها الذكريات السعيدة

فقط حتى وإن كانت قليلة، فهو بالضبط ما تحتاجه الآن، تذكرت
ضحكات طفلها، رقصة ترافولتنا، أعمالها الخيرية، وأخيراً والأهم هو حب
الناس لها .. ثم غطت في سُبَاتٍ عميق.

(٣)

حب في المستشفى

استيقظت صباح اليوم التالي باكراً، نامت ديانا تلك الليلة وكأنها لم تنم من قبل، وبرغم ان الستائر كانت مسدلة على نوافذ الغرفة إلا أنها لم تحول دون سماع تغريد العصافير الجميلة على الشجرة التي تتمايل أغصانها على نوافذ الغرفة، وكأن هذه العصافير أتت إليها هذا الصباح خصيصاً لتوقظها لاستقبال يوم جديد وحياة جديدة أيضاً.

نهضت من على السرير بحيوية غريبة على عكس ما كانت عليه بالأمس، بدت كمتعافٍ من الادمان قرر البدء من جديد وعدم الالتفات للوراء. اتجهت ناحية النافذة وفتحتها بابتسامة مشرقة، أغمضت عينها وتنفست نفساً عميقاً، ملأت رئتها بهواء منعش أزاح عن صدرها همماً كانت تتصور أنه سيلازمها طيلة حياتها.

- صباح الخير سمو الأميرة.

التفتت ديانا لترى فتاة في العشرين من عمرها ترتدي زياً وردياً وقبعة بنفسف اللون، وحناءاً أبيضاً بدون كعب، تبدو من هيأتها أنها ممرضة ..

- صباح الخير، تفضلي

- كيف حال سموك اليوم؟

أجابتها بابتسامة مدهشة اعتادت الممرضة أن تراها مرسومة على وجهها الجميل في التلفاز وعلى صفحات الصحف والمجلات .. بكل خير يا عزيزتي، أأترين؟

ابتسمت الممرضة بدورها ..

- نعم أرى أجمل ابتسامة لأجمل أميرة، لا حرمانا الله من هذه الابتسامة الرائعة التي نعهد لها دائماً من أميرة ويلز.
- أشكرك، هل لي أن أسأل عن الطبيب حسنت خان؟

اندهشت الممرضة أنها تذكرت اسمه رغم حالة الإعياء التي كانت عليها بالأمس ولكنها استدركت قائلةً:

- نعم بالطبع، إنه بمكتبه منذ حوالي نصف ساعة، هل تريد أن أبلغه شيء؟
- لا أشكرك سأذهب إليه بنفسي، فقط رافقيني إلى مكتبه كي ترشيدني إليه من فضلك.
- أمرك سمو الأميرة، فلتفضلني معي.

خرجت ديانا وتبعها الممرضة متجهتين إلى غرفة مكتب دكتور حسنت خان، وقفنا أمام لافتة على باب غرفة مكتوب عليها "مكتب حسنت خان، طبيب القلب والأوعية الدموية" أذنت ديانا للممرضة بالانصراف شاكرةً إياها. دقت ديانا على الباب برفق، أتاها صوت من الداخل قائلاً: ادخل .. هذا الصوت هو نفس الصوت الرخيم الذي سمعته الليلة الماضية قبل أن تنام، والذي مازالت كلماته الرقيقة تتردد في أذنيها: "أميرة القلوب".

فتحت الباب في هدوء، وأطلت منه إلى داخل الغرفة، وما إن رآها الطبيب وقف مشدوهاً تختلط نظراته بالسعادة والدهشة..

سمو الأميرة ديانا؟!!

نعم دكتور حسنت .. اتجهت نحوه .. ما رأيك في هذه المفاجأة؟

مازالت عيناه معلقتان على عينها غير مصدق أن هذه الابتسامة الساحرة هي لنفس المرأة التي كانت ترقد على فراش المرض بالأمس فاقدة الوعي وهو بنفسه من أفاقها، من فرط دهشته لم ينبس ببنت شفه. ضحكت ديانا ضحكة مشاغبة قائلة:

- أعلم أنك مندهش لما تراه، في الواقع معك حق، أنا نفسي مندهشة لحالتي اليوم.

وجد لسانه أخيراً، ونطق:

- هذه هي الأميرة ديانا التي أعرفها ويعرفها الجميع، المرأة القوية غير المستسلمة.

- يبدو أنك تعرف عني الكثير أيها الطبيب الماهر.

ضحك قائلاً:

- ومن لا يعرف أشجع امرأة في العالم ، أميرة القلوب.

جلست على المقعد المقابل لمكتبه ..

- اتعرفُ شيئاً دكتور حسنت.. كثيراً ما سمعتُ هذا اللقب "أميرة القلوب" لكنني في الواقع لم أشعر بوقع تأثيره الجميل عليّ إلا حين نطقته أنت!

جلس على مقعده مرتبكاً، شعرتُ بارتبাকে فاستدركت قائلة: ألا تطلب

لي شيئاً لأشربه؟! ما أعرفه عن الباكستانيين انهم أناسٌ شديدي الكرم .

- معذرةً سمو الأميرة لا تؤاخذيني، فمن فرط سعادتي بوجودك في مكتبي نسيتُ أن أسألكِ ماذا تشربين.

- لا أريد أن أشرب شيئاً، كنتُ فقط أمزح معك، اسمح لي بالانصراف؛
فلدي مهام كثيرة عليّ القيام بها.
- بهذه السرعة سمو الأميرة؟ أنصحك بأخذ قسطاً من الراحة، فمازلتِ
في فترة نقاهة، وتحتاجين قليلاً من الراحة كي تستعيدي عافيتك
تماماً.
- لا تخشى عليّ دكتور، أؤكد لك أنني في تمام عافيتي ولا أحتاج إلى
الراحة، بل بالعكس أنا أريد العودة لعملي بسرعة لأن العمل هو
الشيء الوحيد الذي يشعرنني بالسعادة وبأنني لا زلتُ على قيد الحياة.
- كما تودين سمو الأميرة .
مد لها يده لمصافحتها ..
- أتمنى أن يجمعنا لقاءً قريب.
صافحته شاكرةً ..
- طبعاً دكتور حسنت، هذا من دواعي سروري.
مد يده إلى حافظة الكروت على المكتب وتناول منها كارتاً وناولها إياه..
- هذا الكارت عليه أرقام هواتفني، إذا احتجتني في أي وقت لا ترددي في
مهافتي، ثم تناول ورقة فارغة كتب فيها شيئاً وناولها إياها..
- وهذا رقمي الخاص لا أعطيه إلا لأصدقائي المقربين، لو لم تمانعي
طبعاً.
- أسعدتها كلمته "أصدقائي المقربين" هذه العبارة القليلة في حروفها،
العميقة في معناها قائلة:
- لا أمانع بالتأكيد دكتور حسنت، يسعدني جداً اعتبارك إياي من
أصدقائك المقربين .
تتناول هي أيضاً ورقة وقلم من على مكتبه وتكتب شيئاً..

- وهذه أرقام هو اتفي، يمكنك مهاتفتي في أي وقت.
تناول منها الورقة غير مصدق عفويتها الشديدة في التعامل " يالها من ساحرة" فكر في نفسه.
- لاحظت ديانا نظرات الإعجاب تطل من عينيه فأطرقت برأسها خجلاً، ثم رفعت عينها إلى عينيه ثانيةً..
- حسنٌ، أنتظر مهاتفتك قريباً دكتور حسنت.
انتبه إلى ابتسامتها الخجولة التي فهم منها أنها فهمت نظراته فتدارك..
- حسنٌ سمو الأميرة، إذن انتظري مني مكاملة قريباً لأطمئن عليك
- أنا بالانتظار.
وبينما تم بالخروج سمعت طرقات على الباب.
- ادخل .. قالها الطبيب الهائم
انها ليزا تدخل مندهشة ..
أنت هنا ديانا؟ أقلقتني عليك، لقد ذهبتُ إليك في الغرفة فلم أجدك، سألتُ عنك الممرضة اخبرتني أنك هنا، انتهت أخيراً إلى وجود الطبيب.
- معذرة دكتور، من لهفتي على ديانا نسيتُ أن ألقى التحية.. صباح الخير
- لا عليكِ سيدة ليزا، صباح الخير
- صباح الخير ليزا.. قالت ديانا.. اطمئني فأنا اليوم بكامل صحتي.
نظرت إليها بعينين واسعتين ..
- نعم واضح بالطبع أنك بحال أحسن كثيراً، حمداً للرب على سلامتك حبيبتي.

- الفضل يعود لدكتور حسنت.. قالت ديانا .
- طبعاً بالتأكيد

أجابت ليزا، ثم وجهت كلامها للطبيب..

- لك كل الشكر والتقدير دكتور.
- لا داعي للشكر سيدة ليزا

ثم وجه كلامه لديانا:

- الفضل لله وحده سمو الأميرة، ولقوة ارادتك .
- اسمح لنا بالانصراف دكتور حسنت .. قالت ديانا.
- تفضلاً، وكما وعدتُ سموك سأهاتفك قريباً للاطئنان عليكِ.
- بالانتظار دكتور .. قالتها ديانا بابتسامة عريضة على وجهها.

جحظت عينا ليزا وكادتا تخرجان من مكانهما، وتساءلت متى وكيف ولماذا تغيرت صديقتها وانقلب حالها مائة وثمانون درجة؟ يبدو أنه ثمة سر، وهذا السر هو السبب في اللمعان الذي يُجَمَلُ عينها الآن، كل هذا دار في مخيلتها للحظات عابرة ولكنها سرعان ما صافحت الطبيب ..

- تحياتي دكتور
- تحياتي سيدة ليزا، مع السلامة
- إلى اللقاء دكتور .. صافحته ديانا مغادرةً
- إلى اللقاء سمو الأميرة، في رعاية الله.

خرجت ديانا وليزا من غرفة المكتب متجهتين إلى المصعد، ضغطت ديانا على زر الهبوط، ولازالت ليزا تنظر إليها في دهشة ملحوظة، هبطتا إلى الطابق الأرضي وتوجهتا إلى سيارة ليزا، فتحت ليزا باب السيارة، واتجهت ديانا ناحية

اغتيال

الباب الآخر من الجهة المقابلة وفتحته، ركبتا السيارة، أدارت ليزا محرك السيارة وانطلقت بسيارتها بالسرعة العادية، فما حاجة لها بالسرعة الزائدة هذه المرة، فهاهي صديقتها التي كانت تسرع من أجلها بالأمس تجلس بجوارها بكامل عافيتها!

ظلنا صامتتين لبرهة من الوقت بينما كانت ديانا تتابع عينا صديقتها في المرأة المقابلة واللتين كانتا مملوئتين أسئلة وحيرة، فأرادت ديانا أن تكسر حاجز الصمت بينهما، فقالت..

- الحمد لله أن الصحافة لم تدرِ شيئاً عما حدث بالأمس إلا ما كنا سلمنا من مطاردتهم لنا.
- حقاً، كيف هربت من مطاردتهم لك هذه المرة؟
- خرجت من القصر متنكرة، حتى يتسنى لي الذهاب إلى شقتي دون تطفلهم.

ابتسمت ليزا دون أن تعلق .

- ليزا، أرى في عينيك كثير من الأسئلة، هل أنا محقة؟

ابتسمت ليزا في ارتباك ..

- نعم ديانا، في الحقيقة لدي الكثير من الأسئلة لك في حرج أن أسألك إياها.
- واضح طبعاً، أنا قرأتها دون أن تنطقي بحرفٍ واحد صديقتي.
- كما أنني قرأت ما في عينيك اللامعتين من دون ان تنطقي بحرفٍ واحد صديقتي .

ضحكتنا ضاربتين كفهما في شقاوة معتادتين عليها سويًا.

- اذن احكي لي، أود أن أسمع.

- لا شيء يُحكي سوى أنني أشعروكأني أولد من جديد، اتعرفي شيئاً ليزا، أول ما بلغتُ بخبر طلاقي رسمياً من تشارلز شعرتُ بالانهيار وكان زلزالاً مدمراً اجتاحني، شعرتُ بأن الأرض كلها تنهارتحت قدمي، رأيتُ نفسي أسقط، خُيلَ لي أنني لن أستطيع النهوض مرة أخرى، أعتقدت بأن حياتي قد انتهت عند هذا الحد، إلا أن رأيتُ حسنت حان.
- اممم ، أنا أيضاً قلتُ هكذا، السر.. حسنت خان.
- نعم ليزا، لا أخفي عليكِ سراً، هذا الرجل بعينيهِ جاذبية غريبة، ما إن التقت أعيننا بالأمس أحسست بأنه يحتضني بعينيهِ، وبرغم أنها المرة الأولى التي ألتقيه فيها، وبالرغم أن عدد الكلمات بيننا كان محدوداً جداً، إلا أن كلماته البسيطة أشعرتني بالدِّفاء يسري في جسدي بعد أن جمدته البرودة والقشعريرة طيلة حياتي.
- تقصدي أنكِ احببتيه؟
- لا أدري بالتحديد، ولكن لو أن الحب هو أن يُمنح القلب مزيداً من الدقات بعد نفاذ عدد دقاته، اذن فقد أحببته.
- ديانا أنا أخشى عليكِ، مشاعرك الآن ليست مستقرة خاصة وأنتِ للتو خارجة من حياة زوجية فاشلة، أخشى أن يكون ماتشعرين به هو مجرد احتياج للتعويض ، بيد أن حسنت خان رجل
- قاطعتها ديانا: رجل مسلم، أليس هذا ما قصدتيه؟
- بالضبط.
- ليزا أنتِ لستِ بحاجة لشرح أو توضيح معاناتي مع تشارلز طيلة حياتي، أنتِ أقرب صديقاتي وتعرفين عني ما لم يعلمه غيرك، وتعرفين أن تشارلز لم يشعر بحبي يوماً، فقلبه مشغولٌ بحب امرأةٍ غيري، أما من ناحية حسنت خان فأنتِ أيضاً تعلمين رأيي في موضوع اختلاف

الأديان هذا، وأنه لا يمثل لي أي عقبة ولا علاقة له بالحب والمشاعر النبيلة .

- نعم أعلم، ولكنني أدرك أنك لازلتِ تحيين تشارلز.
- كنت أحبه، لا أنكر أنني أغرمتُ به في البداية أو يمكنك القول بأنني كنتُ مهورةً به حتى اكتشفت خيانتَه لي والتي لم ينكرها حين واجهته ، وصرح لي بها بكل وقاحة بل وتمادى في خيانتِي كل تلك السنوات .
علاصوتها انفعالاً وبكت.
- أرجوكِ ليزا لا تذكريني به، أريد أن أنسى معاناتي معه وسنين عمري التي ضاعت هباءً بقربه .
- أسفة حبيبتِي، لم أقصد أن أضايقكِ بكلامي، ولكني فقط أخشى عليكِ ان تعي في نفس الخطأ مرة أخرى ، وأنتِ لستِ بحاجة إلى مزيد من الصدمات.
- لا تخشي علي، فقد تعلمتُ الدرس جيداً، ولن أمنح قلبي بعد اليوم إلا لمن يستحقه .
- هذا ما أتمناه يا عزيزتي، ها قد وصلنا، هيا لأوصلكِ إلى شقتكِ كي أطمأن عليكِ

ضغطت ليزا مكابح سيارتها لاستيقافها، نزلتا من السيارة وصعدتا بالمصعد حتى باب الشقة، فتحت ليزا الباب بنسخة المفتاح التي معها ودخلتا سوياً، جلستا على الأريكة في الصالة، ثم نهضت ليزا متجهة إلى الثلاجة، فتحتها وأخرجت منها طعاماً وقدمته لديانا ..

- تفضلي حبيبتِي، هذا الطعام أعدته بيدي خصيصاً لكِ، أحضرته قبل ذهابي إليك في المشفى حتى إذا ما عُدتِ من هناك وجدت طعاماً طازجاً، هذا الطعام الذي تفضليته.

- ليس لديَّ شهية للطعام ليزا، أعيديه للثلاجة، سأتناوله متى شعرتُ بالجوع.
- يجب أن تتغذي ديانا، حتى تستعيد عافيتك.
- أرجوكِ ليزا لا تلحي عليّ.
- حسنٌ، كما تودين.
- تعيد الطعام إلى مكانه بالثلاجة..
- سأنصرف الآن، فقد تأخرتُ على عملي.
- أسفة ليزا أني تسببتُ لك في تأخيرك عن العمل .
- لا داعي للأسف حبيبتي، لم يكن من المعقول أن أذهب للعمل قبل الاطئنان عليكِ.
- اشكرك حبيبتي على كل ما فعلته من أجلي.
- ليس بيننا شكر ديانا فنحن بمثابة شقيقتان .
- معك حق .. مع السلامة
- تقبلها ، سأتصل بك لاحقاً للاطئنان عليكِ .
- تغمز لها بإحدى عينيها.
- ابتسمت ديانا لأنها فهمت ما تلمح إليه صديقتها.
- سلام حبيبتي، اعتن بنفسك، وإذا احتجتِ شيئاً هاتفيني فوراً.
- حسنٌ، مع السلامة
- تغادروا وتغلق الباب خلفها.

(٤)

صفحة رابحة

الملكة اليزابيث الثانية ملكة بريطانيا، تخطت السبعين بأربعة أعوام، قصيرة القامة نوعاً ما، لكنها تملك من الحكمة والدهاء وقوة الشخصية ما جعلها جديرة باعتلاء عرش بريطانيا العظمى في سن مبكرة جداً.

لم يكن مقدراً لها أن ترث العرش لكن كان من المفترض أن يتولى عمها ادوارد الثامن حكم البلاد إلا أنه فضل الزواج من امرأة أمريكية مطلقة ما جعله غير مؤهلاً لهذا المقام الرفيع، وحيث أن أخيه جورج السادس لم يكن لديه أبناءاً ذكور فانتقل العرش بالتبعية إلى ابنته الكبرى اليزابيث الثانية، التي كانت في العاشرة من عمرها آنذاك، فألزم والدها على اعتلاء العرش حتى بلوغ ابنته السن القانوني.

في يوم تتويجه وضعها والدها في المقدمة، وتولت جدتها ماري مهمة تعليمها كيفية التلويح بيدها للشعب، بعدما أصبح لزاماً عليها أن تكون ملكة بريطانيا المستقبلية.

ولمّا لم تكن قد حصلت على تعليماً كافياً ليؤهلها لحكم البلاد فقد حرصت جدتها الملكة ماري على تزويدها بالتعليم الكافي، فأحضرت السيد "هنري مارتن" لتدريسها مادة القانون، لكنها اكتشفت أن هذا أيضاً ليس كافياً، فعمدت على إشراكها شئون الحكم قدر استيعابها وقدرتها العقلية كطفلة كل ما يفعله الأطفال في سنها للعب ومذاكرة دروسهم المدرسية.

حددت الحرب العالمية الثانية مستقبل الملكة القادمة، فصحة والدها الملك تتدهور، وكان عليها وهي مالبثت أن وصلت إلى مرحلة المراهقة أن تتولى

المهام والواجبات العامة نيابةً عنه، وكانت على قدر المسؤولية، فكانت تشرف بنفسها على عمليات الجيش الحربية.

في عيد ميلادها الواحد والعشرين القت خطاباً للشعب قالت فيه :

- "أعلن امامكم أن حياتي كلها طويلة كانت أم قصيرة، ستكون مكرسة لخدمتكم وخدمة العائلة الامبراطورية العظيمة التي ننتمي إليها جميعاً".

بعد ست سنوات من هذا الخطاب اعتلت اليزابيث الثانية العرش، وكان ذلك في الثاني من يونيو عام ١٩٥٣ م.

في هذه اللحظة قطعت اليزابيث عهداً على نفسها أن تجسد الشخصية المقدسة، وأن تتخلى تماماً عن شخصية الأنثى الرقيقة، لأن هذا لم يعد يناسب وضعها الجديد كملكة بريطانيا العظمى، فحياتها الخاصة ستحتل المرتبة الثانية بعد حياتها العامة .

- مستحيل .. لن أسمح لها بهدم ما بنيت في أكثر من أربعين عاماً .. هكذا حدثت الملكة اليزابيث نفسها وهي تجلس على مكتبها بقصر بيكينجهام، ضربت بقبضتها على سطح المكتب ..

- لن أسمح لها بذلك.

ضغطت على ذر الجرس على يمين مكتبها فأتاها حارسها الخاص ..

- أوامرك جلالة الملكة .

- اتصل بالأميرة ديانا واطلب منها الحضور إلى هنا، وإذا سألتك عن سبب استدعائي لها، اخبرها بأنني أريد التحدث معها بخصوص إجراءات ما بعد الطلاق.

- حسنٌ جلالة الملكة.

انصرف الحارس من حضرتها، نهضت الملكة من على مقعدها واتجهت ناحية الصورتين المعلقتين على الحائط شمال المكتب، نظرت إليهما باعتراز حيث كانت احدهما تجمعها بعائلتها يوم تتويج والدها الذي يقف خلفها ويجواره أمها وجدتها، وفي المقدمة هي وشقيقتها الأصغر يلوحن بيدهن وأمامهم الشعب يهتف.

الصورة الأخرى كانت يوم تتويجها، ويقوم البطيريك بإلباسها التاج الملكي، مر على صورتها الأولى أكثر من ستين عاماً لم تُخل يوماً خلالها بمسئولياتها الملقة على عاتقها.

- اطمئن وارتاح في قبرك جلالة الملك، فابنتك التي وضعتَ فيها ثقتك منذ نعمة أظفارها لن تسمح لأي شخص أياً كان أن يززع عرش بريطانيا، ولا يغير صورتنا الملكية أمام العالم ولو كان هذا الشخص هي زوجة ابني أو من كانت زوجته.

في هذه الأثناء عاد الحارس بالرد الذي أرسلته من أجله، طرق الباب المفتوح.

- ادخل
- جلالة الملكة.. لقد اتصلت بالأميرة ديانا وأخبرتها بما أمرتني أن أوصلها إياه.
- وماذا كان ردها؟

استجابات لطلب جلالته، لكنها طلبت ارسال سيارة من سيارات القصر مع حارسها الشخصي "كين وورف" وسائقها الخاص "هنري بول".

- أووف، ارسل لها ما تريد، لننتهي من هذه القصة.
- أوامرك جلالة الملكة.

انصرف الحارس، وبينما كان متجهاً للخارج دخل الأمير تشارلز.

- عمتِ مساءً جلالة الملكة.

كان قد اعتاد تشارلز أن يخاطب أمه ب "جلالة الملكة" منذ حادثته، طبقاً لتعليمات أمه شخصياً.

- عمتَ مساءً تشارلز، حسناً أن جئت، كنتُ سارسل لك كي تأتي، أريد مناقشتك في أمر هام.

- خيرٌ.

- لقد أرسلت في طلب ديانا لاستحضرها هنا لنتفق معها على الإجراءات القانونية التي يجب أن نتبعها بعد الطلاق قبل تسجيلها بشكل رسمي في المحكمة.

- أي اتفاق؟ .. رد تشارلز بانفعال.

- اهدأ يا تشارلز واسمعي، ديانا ليست بالمرأة الهينة، وبالتأكيد فإن خبر الطلاق لن يمر عليها مرور الكرام، ستحاول الثأر لكرامتها، وهي كما تدري مجنونة، يمكنها أن تفعل أي شيء لمجرد الانتقام، ألم تذكر قصة ذلك الكتاب الذي نشرته منذ ستة أشهر عن حياتكما والذي جعلني أطلب منك طلاقها؟ ألم ترى كيف أنها شهرت بنا جميعاً وجعلت سيرتنا كالعلكة في فم كل الناس، يلوكها القاصي والداني! الناس تتلهف على معرفة أخبار الملوك والأمراء وحياتهم الخاصة، وخاصةً إذا كانت تتخللها بعض الحكايات الفاضحة مثل علاقتك بكاميليا سمو الأمير.

- أرجوكِ جلالة الملكة لا داعي لتلك التلميحات، أنا لا أريد ان أسمع أكثر من ذلك.. بهم بالانصراف.

اغتيال

- انتظر ياتشارلز، أنا لم أرسل في طلبها لمسامرتها، لكن كي أحرصها، وأتقي شرها الذي لا يعلم أحد إلى أين يمكن أن يأخذنا.
- تخرسها؟ كيف؟
- انتظروستري بنفسك، هي على مجيء ينتفض من على مقعده معترضاً:
- لا جلالة الملكة، أنا لا أريد أن أراها، افعلي أنتِ ما ترينه صواباً، أما أنا فلا يمكنني التواجد في المكان الذي تتواجد هي فيه، أنا لأطيق رؤيتها ولا سماع صوتها، كفاها ما فعلته بي وبنا جميعاً، سلام.
- تشارلز، انتظر
- خرج مسرعاً دون الاستجابة لنداء أمه، بعد خروجه بحوالي عشر دقائق دخل الحارس ليعلم الملكة اليزابيث بوصول الأميرة ديانا.
- جلالة الملكة، وصلت الأميرة ديانا.
- دعها تدخل.

- دخلت ديانا مرتديةً ثوباً جميلاً باللون الزهري الفاتح، وقبعةً بنفس اللون، أما الحقيبة والحذاء فكانا باللون الكحلي، تعمدت أن تظهر بكامل أناقها
- مساء الخير جلالة الملكة.
- مساء الخير ديانا، تفضلي.

- تجلس في ثقة وهدوء..
- أخبرني حارس مكتبك أنك أرسلت في طلبي، خيرياً ترى؟
- كل خير، فقط أردتُ أن أتحدث معك بخصوص ما علينا فعله بعد الطلاق وقبل الذهاب إلى المحكمة وتوثيقه بشكل قانوني.

- تحت امرك .
- سأدخل في الموضوع مباشرةً دون أية مقدمات، فكلينا ليس لديه وقت ليضيعه.
- يُستحسن.
- ديانا، أنتِ تعلمين أنني لم أصدر أوامري لتشارلز بتطبيقك إلا بعد ان تفاقمت المشكلات بينكما، وأصبحتما تتبادلان الاتهامات بينكما في فشل زواجكما، وللأسف باتت اخباركما مشاعاً ، في شاشات التلفاز، وعلى صفحات الجرائد والمجلات، وطبعاً لست بحاجة إلى أن أذكرك بمن بدأ بكل هذه المشاكل.
- تقصديني أنا طبعاً.
- نعم ديانا، أنتِ من أعلنتِ الحرب على تشارلز وعليّ، وآخر هذه الحروب وأكثرها اشتعالاً هذا الكتاب التافه الذي كلفتِ كاتباً مغموراً بكتابته، ذلك الكتاب من شأنه أن يزعزع مكانة العائلة المالكة، وأنا لن اسمح بذلك ما حييت.
- أظن أنكِ قلتِ لي أنكِ أرسلتِ في طلبي كي نتناقش في اجراءات مابعد الطلاق وليس للحديث عن الكتاب!
- نعم، بالفعل لم أرسل في طلبك لهذا السبب، وإن كان له علاقة بالاتفاق الذي سنعقده سوياً الآن.
- هل يمكن أن توضحي أكثر من فضلك؟
- سأعقد معكِ إتفاق ديانا أو يمكنك ان تعتبرها صفقة رابحة لكلينا.
- صفقة؟!!
- نعم صفقة، حتى تخرج كل الأطراف من هذا الطلاق رابحة أو على الأقل تخرج بأقل الخسائر الممكنة.

- إلى الآن لم أفهم جلالة الملكة، ماذا تريد مني بالضبط.
- أريدك ان ترحلي وتتركي قصر كنزنتن، والانتقال للعيش في قصرٍ آخر، وأن تتخلي عن لقب أم الملك في المستقبل، وسأعطيك التعويض المناسب، مقابل أن توقفي الحرب التي أعلنتها علي أنا وتشارلز، وأن تصمتي عن الثرثرة على شاشات التلفاز، والصحف عن أسرار القصر، وما يخص العائلة المالكة.
- ماذا؟ لماذا لم تطلبي مني أن أتنازل عن حضانة ولديّ بالمرّة؟
- هذا ما قصدته بالفعل، لكن يبدو أنك لم تفهمي كلامي جيداً.
- أنت من تبدين أنك لم تفهميني جيداً جلالة الملكة، رغم مرور كل هذه السنوات لي في قصركم الملكي.
- ماذا تقصدين.
- نهضت من على مقعدها مهددةً: لن أقبل بأي شيء مما ذكرته، أبعد كل ما حدث من ابنك معي، وكل ما أذاقني من شتى أنواع العذابات النفسية والمعنوية طيلة سبعة عشر عاماً تريدني أن أتنازل عن حقوق هذه البساطة؟
- حقوقك؟
- نعم حقوقي، اسمعي جلالة الملكة، أنا لن أتنازل عن لقب أم الملك في المستقبل، فأنا أم وليام بالفعل، ولن أسمح لك بانتزاع حقي هذا، وليس هذا فحسب، ولكن سأحصل منكم على عشرين مليون يورو كتعويضاً مبدئياً، ورتباً شهرياً لا يقل عن ثمان مائة الف يورو سنوياً لمكتني الخاص، ولن أترك قصر كنزنتن، وسأستخدم كل السرب الملكي لخدمتي، وسأحتفظ بكل مجوهراتي، أي سأظل أعامل معاملة الأميرات كما أنا، ولن أتنازل عن حق واحد من كل حقوقي التي ذكرتها

- لكِ، والأهم من كل ذلك هو الاحتفاظ بحضانة طفليّ وليام وهاري، وأربيهما بالطريقة التي أراها أنا مناسبة لهما كولي للعهد وخلفه.
- يبدو أنكِ جننتِ حقاً.
 - هذا آخر كلام عندي، فكري جيداً فيما قلته لكِ فيما موافقة أو كما تعلمين ما يمكنني فعله .
 - أتهدديني؟
 - اعتبريها كذلك، سلام
 - انتظري، رغم وقاحتك في الحديث معي، ورغم تخطيك كل الخطوط الحمراء، إلا إنني موافقة على كل ما طلبتيه.
 - حسنٌ، هكذا يكون الحديث (قالتها بصوت المنتصر).
 - لكن اعلمي ديانا إنه في حال مخالفتك هذا الاتفاق ستكون النتيجة غير مرضية لكِ بالمرّة، وسيحدث ما لا يُحمد عقباه، وستندمين أشد ندم.
 - اطمئني جلالة الملكة، فلم يبقَ لي عندكم شيئاً يستحق أن أحرابكم من أجله.
 - يمكنكِ الآن الذهاب إلى قصر كنزنتن والاقامة فيه أنت ووليام وهاري، على أن تكون حضانتها مشتركة بينك وبين تشارلز.
 - موافقة، تشارلز أبيهما على أية حال وله حق مشاركتي حضانتها بلا شك.
 - حسنٌ، ستجديهما بانتظارك هناك، موعدنا غداً الثامنة صباحاً في المحكمة لتوثيق اتفاقنا رسمياً.
 - عظيم، سلام
 - سلام

(٥)

بداية جديدة

ما إن دخلت ديانا القصر حتى استقبلها كل العاملين بحفاوة بالغة، فالجميع يحبها من صغيرهم إلى كبيرهم، ولم لا؟! وهي من تعطف على الجميع وتعاملهم بمنتهى التواضع والعفوية الشديدين، فهي لم تتعامل معهم يوماً باستعلاء، لم تضع حواجز بينها وبينهم، فهي تؤمن أن البشر كلهم سواء، لا فرق بين أمير وخفير.

- أنرتي القصر أميرتنا المحبوبة.

- لا غيبك الله سمو الأميرة، فالقصر بدونك سجن مظلم.

- ها قد دبت الحياة مرة أخرى في القصر بعد عودتك إليه سمو الأميرة.

أصوات ترحيب، وأيادي ممتدة، قَبْلُ، ومعانقات، ومشاعر صادقة أحاطت بديانا، تلك المشاعر التي أودعتها في قلوب الناس، وها هو الوقت قد حان كي يردوها إليها مضاعفة يوم احتياجها إليها. من وسط كل هذه الأصوات تنهى إليها من بعيد صوتين جميلين طالما احبتهما وطربت لهما، صوت وليام وهاري طفليها الجميلين.

التفتت نحوهما فرأتها يهرولان إليها على درجات سلم القصر، فسارعت إليهما متناسية كل من حولها، لا يشغلها في هذه اللحظة سوى احتضانهما، شعرت أن هذا هو أكثر وقت هي في احتياج إليهما أكثر من احتياجها إليهما، أخيراً وجدت روحها وقلبيها مثلما اعتادت أن تصفهما.

- مامي .. مامي .. (هتفا الطفلين).

ضمتهما بحنان وبكت وظلت تمطرهم بالقبلات، وكأنها لها زماناً لم ترهما، رغم أنها لم تغب عنهما سوى الليلة الوحيدة الماضية التي باتت فيما بشقتها، هما أيضاً لم يكفا عن ترديد كلمات الحب والشوق لأمهما التي لم يعتادا على فراقها، حتى في أسفارها خارج بريطانيا للقيام بمهامها الرسمية وأعمالها الخيرية التي تضطرها للسفر لعدة أيام كانت غالباً ماتصطحبهما معها وترفض ان تتركهما لمربيات أو موظفات القصر إلا نادراً جداً.

- هل حدث الطلاق بينك وبين أبي بالفعل مامي؟ .. سألهما وليام.
- نعم حبيبي .. ردت بأسى.

- هذا يعني أننا لن نرى أبي ثانية؟ سأله هاري.

- لا حبيبي، لماذا تقول هذا الكلام؟ علاقتي أنا بأبيكم ليست لها علاقة بكمما أنتما به، فهو أبيكما على أية حال، سواء استمر زواجنا أو لم يستمر، اطمئنا، سترياه في الوقت الذي تريدان أن ترياه فيه وحسبما تسمح ظروف والدكما.

صمتا الولدان، أحست بحزنهما وأسفهما لانفصالهما هي ووالدهما.

- أعلم أن الخبر محزن بالنسبة لكما كما هو بالنسبة لي، لكن علينا أن نتقبل الوضع الجديد، حتى نعتاد عليه، والآن هيا نصعد إلى الطابق العلوي أريد أن استرح بعض الوقت في غرفتي .
- الغذاء جاهز سمو الأميرة، فقد أمرت الطهاة بإعداده عندما علمت بقدمك.. قالت "ويندي" مدبرة القصر.
- اشكرك ويندي أنا لستُ جائعة، اطعمي وليام وهاري، أما أنا سأستريح في غرفتي وسأتناول غدائي بعد الاستيقاظ من نومي.. قالت ديانا.

- لا نحن لسنا جائعان يا أمي ، نريد أن نصعد معك لغرفتك.. قال وليام.

- نعم يا أمي نريد أن ننام في حضنك اليوم، من فضلك.. قال هاري.

- حسنٌ طفلياً الجميلين، هيا فلنصعد سوياً إلى غرفتي، أنا أيضاً مشتاقَةٌ اليكما جداً وأريد أن أنام في حضنكما، هيا.

صرخ هاري من شدة سعادته بموافقة أمه على السماح لهما بالنوم معها في غرفتها، أما وليام ابن الرابعة عشر ربيعاً فلم يبدِ أي ردة فعل، هكذا هو دائماً متحفظ في مشاعره مثل أبيه، على النقيض تماماً فهاري الذي يصغره بعامين يشبه أمه كثيراً في طباعها وعفويتها في التعبير عن مشاعرها بسهولة وبدون أي تعقيد أو حسابات منطقية.

صعدت معهما إلى الطابق الثاني وتوجهت بهما إلى غرفتها .

- انتظراني هنا سأحضر لكما ملابس نوم من خزانة ملابسكما بغرفتكما وأعود اليكما حالاً.

توجهت ديانا إلى غرفة طفليها وفتحت خزانة ملابسهما وتناولت ملابس نوم (بيجاما) لكل منهما ثم عادت إليهما، عمدت أن تفعل لهما هذا بنفسها محاولةً منها أن تعوض إحساسهما بالحزن، حتى أنها بدلت ملابسهما على غير عاداتها ، فقد عودتهما وهما في سن صغيرة أن يعتمدا على نفسيهما في معظم الأشياء، لكنها اليوم تفرط في تدليلهما، حتى حذاءئهما هي من انتزعتهم من قدميهما.

بدلت هي أيضاً ملابسها في الحمام الملكي المرفق بالغرفة، صعدت معهما على سريرها، جعلت وليام عن يمينها وهاري عن يسارها وهي بمنتصفهما.

ظلت تحاجيهما وتسترجع معهما ذكرياتهم منذ ولادتهما حتى اللحظة الآنية، استطاعت أن تعيد إليهما ابتساماتهما وضحكاتهما حتى غطاً في سبات عميق.

عاشت ديانا طفولة تعيسة، وهذا ما جعل منها أم حنوننة تحاول أن تجعل طفلها يعيشان طفولتهما بشكل سوي لتجنّبهما ما عانته هي في صغرها، نظرت في عيونهما المغمضة وشردت بذهنها بعيداً، إلى أكثر من خمسة وثلاثين عاماً، حين كانت طفلة في بيت أبيها.

(٦)

طفولة تعيسة

ولدت ديانا عام ١٩٦١م في مدينة "ساوزكليسيلتون" بلندن، ولدت من أبوين لم يكن بينهما أي نوع من التفاهم، فكانت تشاهدهما يتشاجران باستمرار، ما كان يحزنهما ويسبب لها أذىً نفسياً كبيراً، كانت تدخل غرفتها وتغلق بابها وتظل تبكي وحدها.

ذات يوم استيقظت على صوت شجارهما العالي، فنهضت من على فراشها متسللةً على أطراف أصابع قدميها، وقفت تشاهدهما من فتحة صغيرة بالباب الموارب، ظل صراخهما يعلو تدريجياً للدرجة التي سمعت بها كل كلمة تفوها بها لبعضهما من شتائم وسباب، وإذ فجأةً ترى مشهداً يصعب على أي طفلة أن ترى والديها فيه، رأت أبيها يصفع أمها على وجهها بقوة، انهارت الطفلة ذات الست سنوات وسقطت على الأرض مغشياً عليها، ما أعاد إليها وعمها هو صوت مكابح سيارة أمها وهي تهب بالتحرك بها خارج حديقة البيت، خرجت ديانا من غرفتها متجهةً إلى غرفة المطبخ التي كانت ملاصقة لغرفة نومها، والتي كان لها باباً خلفياً يؤدي إلى حديقة المنزل، تطلعت فرأت أمها تنطلق بسيارتها بسرعة تسحق الحصى، ظل نظرها معلقاً بأبها حتى ابتعدت بعيداً وتلاشت تماماً، جلست على درجات السلم بالباب الخلفي بالمطبخ تبكي وحدها دون أن يشعر بها أحد، لأنها شعرت أن هذه المرة هي الأخيرة التي ترى فيها أمها، وتأكدت فيما بعد من صدق حدسها حيث علمت أن أمها سافرت إلى موطنها الأصلي باستراليا بعد طلاقها من أبيها.

بعد طلاق والديها بدأت ديانا تعاني من الوحدة في هذا السن المبكر، فشقيقتها تدرسان في مدرسة داخلية، وشقيقها الأصغر في حضانة أمه حيث كان لازال رضيعاً آنذاك.

كانت تقوم بإدارة بيتهم الكبير وحدها، فكانت تذهب إلى السوق لإحضار الفاكهة والخضار، ثم تعود لتقوم بطهي الطعام، وغسل الأطباق وتنظيف المنزل.

في سن الثامنة ألحقها والدها بمدرسة (ريدن زولت هوك)، تلقت تعليماً متواضعاً، لكنها كانت بارعة في الألعاب الرياضية التي تعلمتها في مدرستها وكذلك الرقص الايقاعي، ولولا أنها كانت تتمتع بطولٍ فارحٍ لكانت امتهنت مهنة رقص الباليه الذي كانت تتقنه.

في سن الثالثة عشر كانت مولعة بقراءة الروايات وخاصةً الرومانسية منها.

في سن السادسة عشر حصلت على لقب "الليدي" طبقاً للتقليد المتبع لعائلتهم حيث أنها تنحدر من عائلة ارسقراطية، وحيث أنها قد أنهت تعليمها، فقد طلبت من والدها أن تستقل في شقة خاصة بها بعيداً عن بيته عندما شعرت بعدم ارتياح مع زوجة أبيها التي تزوجها مؤخراً، فخضع أبها لرغبتها ولبي طلبها على الفور، اشترى لها شقة فاخرة ذات طابقين بلندن بلغت تكلفتها خمسون ألف جنيه استرليني.

انتقلت ديانا للعيش بشقتها مع اثنتين من صديقاتها، تدعى احدهما "ليزا ماثيو"، وتدعى الأخرى "ماري جونز"، كانت شقتها ذات الطابقين تحتوي على ثلاث غرف، غرفة واحدة بالطابق الأول وغرفتان بالطابق الثاني، فاختارت ديانا غرفة الطابق الأول، واختارت صديقتها الغرفتان الأخريان في الطابق الثاني.

بدأت ديانا تستمتع بحياتها المستقلة مع صديقتها، حرصت على فرش شقتها بأبسط أشكال الأثاث المنزلي بما يتماشى مع شخصيتها البسيطة الغير متكلفة، وخاصةً غرفتها التي لم تكن تحوي سوى سريراً فردياً وتسريحة بها مرايا مدورة كبيرة، وخزانة ملابس صغيرة الحجم، وكومودينو صغير بجوار السرير، أما الصالة فقد كانت تحتوي على البيانو الخاص بها والذي ابتاعه لها والدها فور شرائه الشقة حيث بدأت ديانا في تلقي دروساً في العزف عليه، وضعته في الجانب الأيمن من باب الشقة حتى يكون هو أول شيء محبب لها تقع عليه أعينها حين دخولها من الباب، أما في الجهة الشمالية من الباب فوضعت انتريه مكون من أريكة تسع ثلاثة أشخاص، واثنين من المقاعد الوثيرة، وفي المنتصف توجد منضدة دائرية لتناول الطعام، أما ثلاجة الطعام فكانت تتوسط غرفتها وغرفة المطبخ، أما غرفتي الطابق الثاني فكانتا مرتبتين حسب ذوق صديقتها والذي كان مشابهاً نوعاً ما لترتيب غرفتها. اجتمعت ديانا بصديقتها في أول ايامهن في شقتها، ملتفات حول منضدة الطعام لتناول وجبة الغداء.

- كم أنا سعيدة باجتماعنا نحن الثلاثة في شقة واحدة، انتما تعلمان انكما الأقرب لقلبي منذ ان كنا صغاراً ندرس سوياً بمدرسة "ريدن زولت هوك" .. أتذكران؟ .. قالت ديانا.
- بالطبع، وهل هذه أياماً تُنسى عزيزتي! .. قالت ماري جونز ذات الشعر والعينين البنيتين.
- ونحن ايضاً نحبك ديانا، أنت فتاة طيبة، خفيفة الظل، ودودة، وهذه الصفات الجميلة هي التي جعلتنا أصدقاء إلى هذه اللحظة .. قالت ليزا ماثيو.

- كانت أياماً جميلة، وها قد شاءت ارادة الله أن نقرب من بعض أكثر باقامتنا سوياً في مكان واحد، والآن أريد أخذ رأيكما في موضوع هام.. قالت ديانا.
- ماهو هذا الموضوع الهام؟ سألتها صديقتها متوجستان.
- أنتما تعلمان مدى حيي للأطفال، وطالما أردت أن أكون قريبةً منهم، أداعيم، أحملهم، أشاركهم ضحكاتهم وبرائهم، وهاقد أتتني الفرصة
- ماذا تقصدين؟
- أنا قررت أن أعمل مربية ومعلمة للأطفال في حضانة (بلاي كيدز) قرأت إعلاناً لهم منذ يومين في إحدى الصحف أنهم يريدون مربية ومعلمة للأطفال للعمل بالحضانة فتقدمت للوظيفة وو افقوا علي.
- تفاجأتا صديقتها بقرارها هذا..
- لكنك لا تحتاجين إلى العمل ديانا، فوالدك ميسور الحال كما نعلم، ويعطيك مصروفاً شهرياً لا بأس به، فلماذا تريدان العمل وخاصةً في مهنة متواضعة كهذه؟! .. سألتها ماري
- أنا لا أبحث عن العمل لاحتياجي المادي ماري، ولكني كما قلتُ لكما أنني أحب الأطفال، وأود أن أكون بالقرب منهم وحسب، وهذه وسيلة جيدة لأحقق ما أريد، كما أن مهنة مربية الأطفال تروقي.
- حسنٌ ديانا، أعلم جيداً قدر حبك للأطفال، لهذا لن أعارضك في رغبتك، بل بالعكس فأنا أشجعك عليه مادمتِ مقتنعة بما تفعله، المهم هو راحتك وسعادتك حبيبتي .. قالت ليزا.
- أنا لم أقصد معارضتك في قرارك ديانا لكني فقط مشفقةٌ عليك، فالحياة العملية شاقة وليست بالسهولة التي تتوقعينها، وخاصةً على فتاةٍ مثلك لم تعتاد على العمل، ولم تكوني محتاجةً إليه يوماً، لكن

اغتيال

مادامت هذه رغبتك ومادمت متمسكة بقرارك، إذن أتمنى لك التوفيق حبيبتي.. قالت ماري مبتسمة لديانا وربتت على يديها.

- أشكرك حبيبتي.. أشكركما أنتما الاثنتين، ممتنة لوجودكما في حياتي، أنتما هديتان رائعتان من عند الرب، وجب عليّ شكره لأجلكما.. قالت ديانا.

- والآن بعد أن أنهينا طعامنا، هيا أمتعينا بعزفك الجميل.. قالت ماري.
- نعم ديانا، هيا اعزفي لنا مقطوعة "فان كوخ" التي تحببها ونحن نحب سماعها منك.

- حسنٌ، ولكن قبل أن أبدأ في العزف سأعد لنا ثلاثة أكواب من الشاي، فإني معتادة على تناول الشاي بعد الغداء مباشرة.

- اذن اتركيني أنا لهذه المهمة، فلا يوجد أحد يمكنه إعداد شاياً رائعاً مثلما أعده أنا.. قالت ماري.

- سنسبقك نحن إلى البيانو حتى تأتينا بشايك حتى نرى إذا كان رائعاً حقاً أم إنك تدّعين.. ضحكت ليزا.

- سترين.. أجابها ماري بتحدٍ.

توجهت ماري إلى المطبخ، أما ديانا وليزا فقد اتجهتا إلى البيانو.

بدأت ديانا في تجهيز البيانو لعزف مقطوعتها الموسيقية حتى أتت ماري بالشاي.

- ها قد أحضرتُ الشاي الرائع، فلنتركه ليبرد قليلاً حتى تكوني انتهيت من عزفك الجميل ديانا.. قالت ماري.

بدأت ديانا في العزف بينما كانت صديقتها تحيطان بها باستمتاع واضح، فكل منهما واضعة يدها على خدها واليد الأخرى تطرق بها بأصابعها على

خشبة البيانو متماشية مع نغماته الناعمة التي انطلقت بلمس ديانا لاصابعه.

ظلت ديانا تعزف مقطوعة تلو الأخرى، وظلت صديقتها مستمعتان تدندنان معها حتى انتهت من العزف، فصفتنا لها تصفيقاً حاراً، مثنيتين عليها وعلى عزفها .

- برافوديانا.

- رائع صديقتنا الجميلة.

ضحكت ديانا ابتهاجاً بتشجيع صديقتها اللتين ملئتا حياتها بالأنس والدفء عوضاً عن الوحدة التي كانت تعيشها في بيت أبيها.

- ماذا عن الروايات التي تقرأينها ديانا؟ سألت ليزا.

- أنا الآن بصدد قراءة رواية جديدة بعنوان "حبٌ أبدي" لكاتب يدعي جورج بافلي.

- واضح من اسمها أنها رواية رومانسية.. قالت ماري.

- طبعاً ياماري، انها ديانا الفتاة الرومانسية الحاملة .. قالت ليزا.

- بالفعل، فأنا مولعة بقراءة الروايات الرومانسية، حين أقرأها تأخذني لعالم آخر، عالم مليء بالحب والسعادة.

- اذن احضريها و اقرأيها بصوت عالٍ حتى نشاركك الاستمتاع بها.

- لنشرب أولاً الشاي الذي أعددتيه ماري، فمن أدراني أنه لذيذاً مثلما تقولين، يجب ان أحكم بنفسي .. قالت ديانا مازحةً.

ارتشفت ديانا رشفة من الشاي الذي أعدته ماري فوجدته لذيذاً.

- الله ، ياله من شاياً رائعاً حقاً ، هكذا ستكونين انتِ المسئولة عن إعداد الشاي كل يوم.. ما رأيك ليزا؟

- فعلاً طعمه رائع، سلمت يدك ماري.
- بالهناء والشفاء، يسعدني طبعاً أن أعد لكما الشاي كل يوم.. قالت ماري.

بعد انتهائهن من شرب الشاي توجهن ثلاثتهن إلى غرفة ديانا لتقرأ لهما روايتها الجديدة .

جلسن على السرير وبدأت ديانا في القراءة.. " تعب البحار الذي ظل طوال اليوم يبهر بقاربه الصغير بحثاً عن صيدٍ ثمين، وأخيراً قرر أن يعود إلى الشاطئ لأن النهار قد مال، ظل يجدف حتى وصل إلى الشاطئ، هبط منه وتناول حبلاً طويلاً كان معه بالقارب، ربطه في الوتد على الشاطئ، وجلس ليتناول ما فضل معه من طعام، وبعد أن أنهى طعامه، استلقى على ظهره واضعاً يده خلف رأسه في قاربه لينام، وفي ثوانٍ معدودة كان قد غطَّ في نوم عميق، فجأة سمع صوت رقيق يناديه من عمق البحر: آدم .. آدم، نهض من نومه والنعاس في جفونه، نظر للبحر واذ بفتاة جميلة تشير إليه وتكرر نداءها: آدم.. آدم، ظن أنه يحلم، لكنه سرعان ما أدرك أن ما يراه حقيقة وليس حلماً، اعتدل في جلسته ووقف مثبتاً بصره على عمق البحر، محاولاً التأكد مما يراه..

- ما هذا؟ من هذه الفتاة وما الذي أتى بها إلى هنا؟ حدث نفسه.

فك حبال قاربه وأخذ يبخره حتى وصل إليها، مد لها يده وأخرجها من البحر ووضعها في القارب، صُعق من المفاجأة حين رأى أن نصفها السفلي هو عبارة عن جسم سمكة !.

- ياللهول! ما هذا الذي أراه؟ رأس انسان وجسم سمكة؟! ألسنت بشرٌ مثلنا؟ .. سألتها آدم مندهشاً.

- نعم أنا بشر مثلك لكن سحرتني الساحرة الشريرة وحولتني إلى عروس البحر، نصف انسان ونصف سمكة.
- ولماذا سحرتكِ الساحرة الشريرة؟
- لأنني رفضتُ الزواج بابنها .
- ولماذا رفضتِ الزواج بابنها؟
- لأنني لا أحبه، وأنا يستحيل أن أتزوج إنسان لا أحبه، من فضلك ساعدني كي أعود إلى طبيعتي .
- وكيف أساعدك؟
- لو أنك استطعت ان تفك سحري فسأعود إلى طبيعتي البشرية.
- وتزوجين من تحيين.
- سأتزوجك أنت يا آدام.
- دُهش البحار لما سمعه من عروس البحر.
- تتزوجيني أنا؟!!
- نعم أنت، ولقد رفضت الزواج من ابن الساحرة الشريرة لأجلك أنت، لأنني أحبك وأتمنى الزواج بك.
- لكني لا أعرفك ولم أراك من قبل.
- لكني اعرفك جيداً، بيتي قريبٌ من الشاطئ، كنت أراك كل يوم، أراقبك من بعيد وأنت تبهر بقاربك في الصباح الباكر وتعود عند الغسق.
- نظر البحار في عينيها فشعر بسهام حياها تنطلق نحو قلبه، امسك يداها وقال لها:
- وأنا أيضاً أحببتكِ يا ذوات العينين الساحرتين.
- ووعدتها بأنه سيخلصها من فك سحرها.

- أحب شجاعتك وقلبك الباسل الذي لا يهاب أحداً، و أثق بأنه لن يفك سحري غير من دق له قلبي .. أنت يا حبيبي.
- اخبريني كيف يمكنني مساعدتك، وانا سأفعل المستحيل من أجلك يا حبيبي.
- اذهب إلى الجهة الأخرى من الشاطيء، ستجد هناك شجرة عتيقة، بها غصن واحد فقط مربوطٌ به خصلة من شعري، فكها وهاتها، ولكن احذر؛ فالمنطقة وعرة، ويسكن هناك غولاً ضخماً يجلس بجوار الشجرة ليمنع أي أحد من الاقتراب.
- لا تقلقي حبيبي، سأخذ سيفي البتار معي، وإذا اعترض طريقي هذا الغول فسأقتله، لن أسمح لشيء أو لأحد أن يفرق بيني وبينك بعد اليوم، سأعود بخصلة شعرك و أفك سحرك و أتزوجك.
- حقاً يا حبيبي، ستتزوجني حقاً.
- حقاً يا حبيبي، انتظريني حتى أعود، لن أتأخر عليك.

ركب البحار قاربه مصطحباً معه سيفه البتار. وعبر البحر ليصل للبر الآخر، حين وصل هناك، بحث عن الشجرة العتيقة ذات الغصن الواحد حتى وجدها وبينما يهيم لفك خصلة شعر حبيبته هجم عليه الغول الضخم، فاستل سندباد سيفه وطعنه في قلبه طعنة نافذه أردته قتيلاً، أخذ سندباد خصلة الشعر بسرعة، وجرى نحو قاربه، أبحر سعيداً بأنه خلص حبيبته من سحرها ليتزوجها، حين عاد وجد حبيبته مستلقاه على الشاطيء وقد عاد نصفها السفلي كأجسام البشر، فرح سندباد وهرول مسرعاً نحوها ليهديها خصلتها، وفي بوعده لها بأن يتزوجها، لكنه حين اقترب منها وجدها ساكنة تماماً لا تتحرك.

- حبيبتي، قد أتيتُ وأحضرتُ معي خصلة شعرك، وها قد فُكَّ سحرك
وعدتِ بشر مثلنا، هيا اذن لتتزوج.
لم تجبه حبيبته، فقد فارقت الحياة!.

صرخ آدام صرخة مدوية، كانت صدمته أكبر من أن يتحملها، كيف له
أن يعيش بدون حبه بعد أن وجده أخيراً! قرر أن يلحق بها فاستل سيفه
وطعن نفسه وورقده بجوارها قائلاً: إن كنا لم نستطع أن نعيش سوياً على
الأرض، فسوف أتبعك نحو السماء، فحبنا يا حبيبتي حبٌ أبدي".
اغرورقت عينا ديانا بالدموع فور انتهائها من قراءة روايتها الحزينة.

- معقول ديانا! ألهدنا الحد أنتِ رومانسية؟ أتبيكين لمجرد أنكِ قرأتِ
رواية خيالية؟ .. سألتها ليزا.

- أتعجب لمعظم نهايات الروايات الرومانسية، لماذا عادةً تكون
النهايات حزينة؟ لماذا على المحبين ان يشقوا في حيمهم؟ لماذا عليهم أن
يفترقوا؟ إما بالموت او بالهجر؟ ماذا يجري لو أن كل عاشقين تزوجا
وعاشا سوياً طيلة العمر؟ ألم يكن حينها الكون أكثر سعادة وجمالاً؟
.. تساءلت ديانا والدموع تسيل على خديها.

- لو أن كل روايات الحب تنتهي نهاية سعيدة، ما وجد الكُتَّاب مشتريين
لرواياتهم .. قالت ليزا ضاحكة وضحكت معها ماري.

- أحلم بشاب رقيق يحبني وأحبه ويكون مستعد بالتضحية من أجلي
بكل غالٍ وثمين، يكون شجاعاً في حبي لا يخشى حتى الموت من أجل
سعادتي.. تنهدت ديانا.

- ألم أقل لك أنكِ رومانسية جداً ياديانا؟ مثلكِ يتعب كثيراً في الحياة
الواقعية التي نعيشها على الأرض، هيا يا ماري لنترك ديانا لأحلامها
الوردية عساها تقابل فارس أحلامها في منامها .

ضحك الثلاثة، وخرجت ليزا وماري وتركوا صديقتيهما لتنام.

وقفت ماري على باب الغرفة، وكأنها تذكرت شيئاً فجأة..

- ديانا .. لدى سؤال يحيرني أود ان أسالك إياه.

- بالطبع ماري تفضلي.

- ما دمتِ بهذه الرومانسية الكبيرة لماذا ترفضين مصادقة الشباب،

فالكثير منهم يتودد إليك محاولين التقرب منك ومصادقتك ، لم لا

تمنحي أحدهم فرصة؟

- لأنني أريد أن أحتفظ بعذريتي لما يخبأه لي المستقبل !

(٧)

زواج مدبر

كان الأمير تشارلز ابن الواحد والثلاثين عاماً، ذو القوام المشوق والشعر الأحمر والعينين الزرقاوين مولعاً بالنساء، يرتبط بامرأة وسرعان ما يتركها ليرتبط بأخرى، كُلف ذات يوم بمهمة رسمية في جنوب أفريقيا، فبدلاً من مباشرة أعماله المكلف بها كان يقضي لياليه ساهراً في ملاهي ليلية يتباهي بمهارته في الرقص والحركات البهلوانية، ما جعل العائلة المالكة على الجانب الآخر من البلاد قلقة بشأن تصرفاته الطائشة.

فكرت والدته الملكة اليزابيث في تزويجه خوفاً من التماذي في طيشه ما قد ينتج عنه تدمير التاريخ العريق للعائلة الملكية، لذا بدأت رحلة البحث عن عروس مناسبة لتشارلز.

ولما كانت ديانا تتمتع بكثير من الصفات التي تناسب هذا الدور الهام، حيث كانت فتاة عذراء، جميلة، رشيقة، تنحدر من عائلة ارسطوقراطية، كما أنها بروتستانتينية المذهب، إذن فهي المزيح الأمثل لتشارلز من وجهة نظر الملكة اليزابيث.

- القرار ليس هيناً .. فكرت الملكة .. عليّ أن أضع ديانا تحت الاختبار
لأؤكد ما إذا كانت بالفعل هي العروس المناسبة لتشارلز أم لا.

اقترحت الملكة على ابنها أن يدعو ديانا لمرافقة العائلة المالكة مدة أسبوع في قلعة بالمورال.

وبالفعل دعا تشارلز ديانا لهذه الرحلة الملكية ولبت ديانا الدعوة، لم تكن لترفض، فقد كانت العائلتين على اتصال وثيق منذ سنيناً عديدة، حيث

أن جَد ديانا كان هو القائم على خيول العائلة المالكة، وكثيراً ما كانوا يقضون أوقات العطلات سوياً.

كان الصيد أهم فقرات برنامج الرحلة، حيث كان يقوم به تشارلز وديانا كل يوم، كانت ديانا تقوم في الصباح الباكر تخرج مع الصيادين تشعل النيران في منطقة "سان دريم جامب"، وهو المكان المناسب لصيد الأسماك حيث هدوء المكان وكثافة مياه البحر وبالتالي تو افرا الأسماك.

- أوه كم أحببت هذا المكان .. أخبرت ديانا تشارلز.
- ما أكثر شيء أعجبك هنا؟ سأله تشارلز.

- كل شيء.. الرياح، المطر، والسقوط في الوحل؛ إنها أشياء رائعة حقاً، وأنا أستمتع جداً بها.

- يالها من فتاة ساحرة .. هكذا فكرت الملكة، حيث كانت تراقبها من بعيد.

- خسارة، مر الأسبوع سريعاً، شكراً تشارلز، فقد استمتعت كثيراً.

- ما رأيك ان تسافري معي غداً إلى لندن، عندي أعمالاً هامة عليّ القيام بها وأريدك معي في قصر بيكينجهام.

- أوه، لا يمكنني فعل ذلك، أسفة.

فَكَرَّت ديانا كيف سيفسر الناس وجودها في قصر بيكينجهام!

- حسنٌ كما تودين، فلن أجبرك على فعل شيء لا تريدينه.

إنتهت الرحلة وعاد الجميع، كلٌّ إلى بيته.

عندما عادت ديانا إلى شقتها بلندن التفت حولها صديقتها والفضول

كاد أن يقتلها .

- احكي لنا ديانا عن رحلتك مع العائلة المالكة.

- انتظرن يافتيات لأشم نفسي أولاً ثم سأحكي لكما عن كل شيء بالتفصيل.
- لم تمهلها صديقتها وقتاً لتستريح، وظلا يحاصرتها بالأسئلة.
- يبدو أن الرحلة كانت ممتعة حقاً ديانا، أليس كذلك؟ .. سألتها ليزا.
- وأي متعة ليزا، أنا سعيدة جداً.
- يبدو أنك وجدتِ فارس أحلامك في المورال صديقتي العزيزة .. قالت ماري ضاحكة.
- ماذا تقصدين؟ سألتها ديانا بابتسامة خجولة.
- أقصد الأمير تشارلز طبعاً، احكي لنا يا ديانا ولا تخبي شيئاً، أرجوك.
- نحن مجرد أصدقاء ماري، لا تجعلي خيالك يأخذك بعيداً.
- عيناك تشي بغير ذلك ايها الدوقة.. قالت ليزا.
- الدوقة !!
- نعم الدوقة، هذا اللقب لا يليق إلا بأميرة انجلترا، الأميرة ديانا الجميلة.
- أتظنين؟
- بالطبع، كل المؤشرات تدل على ذلك.
- أحببته ديانا؟ سألتها ماري .. أجيبني بالحق ولا تتخابثي، لماذا تنكرين؟
- لا أخفيكما سرراً، أحبه جداً، ولكني خائفة.
- مم؟ سألتها ليزا.
- تشارلز لم يصرح لي بمشاعره خلال كل أيام الأسبوع تلك، أخشى ان أكون أنا فقط التي أحبه وهو لا يشعر بأي عاطفة تجاهي، رغم أن تصرفاته معي كانت في غاية اللطف والاهتمام.

- هذه طباع أولاد الملوك عزيزتي، لا يصرحون بمشاعرهم بسهولة، كما أن الأمر ليس بهذه البساطة، لو أن تشارلز وقع في حبك، هذا يعني أنه سيتزوجك، وهذا قراراً ليس هيناً، كمان أنه ليس قراراً فردياً فهو قرار يخص كل العائلة المالكة وليس تشارلز وحده.. قالت ليذا.
- أخبريني ديانا .. كيف كانت معاملة الملكة اليزابيث لك خلال ذاك الاسبوع؟ سألتها ماري.
- في منتهى اللطف، كانت مهورة بي، نظراتها لي كانت كلها اعجاب ودهشة، صحيح أنها لم تخبرني بذلك، لكني رأيته في عينها وأحسسته من لطفها الشديد معي.
- إذن ابشري، فقد اجتذبت الاختبار بنجاح.
- اختبار؟ أي اختبار؟
- واضح من كلامك عن الملكة وعن تشارلز أن تلك الرحلة لم تكن سوى اختبار لك، لمعرفة إذا ما كنتِ تصلحين لأن تكوني أميرة انجلترا أم لا؟
- لا، لا أظن.
- بل أكاد أجزم أنها كانت كذلك بالفعل، لكن حتى وإن كانت كذلك فما المشكلة، فقد اجتذبتها بنجاح وهذا هو المهم، فاطمني.
- وبينما يتحدثن دق رنين الهاتف، أسرع ديانا نحو الهاتف والتقطت السماعه بسرعة وكأنها كانت تنتظر مكالمه بعينها.
- الو.
- تشارلز؟ ابتسمت ونظرت لصديقتيها.
- غمزت لها ماري بإحدى عينيها، ولسان حالها يقول "ألم أقل لك؟"
- لما رآها تتحدث بصوت خافت، انسحبتا ليذا وماري وصعدتا إلى الطابق العلوي كي تتركاها تتحدث على راحتها.

- أهلاً تشالز افتقدك كثيراً.
- بالطبع لا أمانع، بل هذا من دواعي سروري.
- في أي مكان ستكون حفلة الشواء تلك؟
- حسنٌ، سوف أحضر في الموعد المحدد.
- لا، لن أتأخر.
- إلى اللقاء.

وضعت السماعة وسرحت بعينيها العاشقتين، وقلبيها يرقص بداخلها،
فها حبيبها يدعوها للمرة الثانية لمرافقته، يبدو أن ماري محقة في تكهناتها،
وكأنها تنبأت لصديقتها ونبوتها بدأت تلوح في الأفق، "ستصبحين أميرة
انجلتر"!!

توالت وتعددت اللقاءات بين ديانا وتشارلز، بدأت تهتم بمظهرها أكثر،
كانت تحرص على ظهورها بأبهى حُلة كي تبهره بأنافتها، تختار ملابسها بعناية
فانقة، تنسق ألوانها بمنتهى الدقة، لا تريد أن تترك شيئاً للصدفة.
- واو، أنتِ رائعة جداً اليوم..

قالها لها تشارلز في لقاءهما الأخير بعدما هاتفها وطلب مقابلتها
لمحادثتها في أمر هام. ثم سرعان ما فاجأها بطلبه:
- ديانا، هل توافقين على الزواج بي؟

لم تتوقع ديانا هذا الطلب من تشارلز وبهذه السرعة، وإن كانت
لقاءتهما المتعددة في الآونة الأخيرة هي خير مقدمة لمفاتحتها بأمر زواجهما، إلا
أنه لم يصرح لها بمشاعره بشكل صريح .
ارتبكت من المفاجأة، وفرحت جداً أن حلمها سيتحقق أخيراً، فكم
كانت تتمنى في قرارة نفسها أن يطلبها تشارلز للزواج.

- نعم أو افق، أجابته بابتسامة خجولة.
 - أتعلمي أن بموافقتك هذه ستصبحين ملكة انجلترا المستقبلية ؟
- سمعت صوت بداخلها يقول: "لا لن تصبحي ملكة انجلترا" ! تعجبت ديانا من هذا الشعور الغريب الذي انتابها فجأة لكنها تداركت..
- أحبك تشارلز، أحبك جداً.
 - أياً كان ما تعنيه كلمة حب.
 - ماذا تقصد؟
 - لا شيء، لا تشغلي بالك، المهم أن تستعدي من الآن لترتيبات الخطبة والزفاف يا أميرة انجلترا.
- لم تفهم ديانا ما قصده تشارلز برده على تصريحها بحبها له، وبدأ القلق يساورها .
- هل تسرعتُ باعترافي له بحبي؟! .. فكرت في نفسها وتساءلت.. هل للحب معنى آخر غير ذلك الذي طالما عرفته في الروايات الرومانسية التي أقرأها؟!

(٨)

القفص الذهبي

بدأت الصحافة في مطاردة ديانا بسبب كثرة رؤيتها مع تشارلز في الآونة الأخيرة، وبدأ الصحفيون ينشرون تكهناتهم بأن الأمير وجد أخيراً أميرته، والتي ستشاركه حياته .. هي الليدي ديانا صديقة العائلة المالكة.

لم يدم انتظار الصحفيون طويلاً، ففي فبراير عام ١٩٨١ م أعلن قصر بيكنجهم خطبة الأمير تشارلز من الليدي ديانا رسمياً.

ملأت صورها الصحف والمجلات بعد إعلان الخبر المنتظر، وأصبحت حديث الاعلام والبرامج التلفزيونية.

في اليوم التالي لإعلان خبر الخطبة، استدعت الملكة اليزابيث ديانا في قصر "كلورانس"، وحين وصلت ديانا إلى هناك لم تجد أحداً في استقبالها سوى شرطي..

- أهلاً ليدي ديانا، أنا "كين وورف" حارسك الشخصي منذ هذه اللحظة.
- أهلاً كين.
- تفضلي معي.

اصطحبها كين وورف إلى داخل القصر، وأثناء سيرهما في حديقة القصر متجهين إلى الباب الداخلي للقصر قال لها ..

- هذه آخر ليال الحرية لك لبقية حياتك، فاحسني استغلالها.

حين سمعت ديانا هذه الكلمات شعرت بغصة في قلبها ولم تنفوه سوى بكلمة واحدة ..

- أوه يا إلهي...

فالحرية بالنسبة لديانا تسري في عروقها مع سريان دمها، فكيف لها أن تعيش مقيدة أو أن تتخلى عن حريتها؟! حين وصلا إلى الباب الداخلي للقصر استقبلتها مدبرة المنزل "ويندي بييري" رحبت بها واصطحبتها إلى غرفتها بالقصر.

دخلت غرفتها لأول مرة، جالت بعينها في كل أرجاء المكان، يدهشها ما يحدث لها وكأنها في حلم، لمحت خطاباً موضوعاً على فراش سريرها تناولته وفتحته لتقرأ ما فيه: "خبر الخطبة مشوق، لتناول الغداء معاً حين يذهب أمير ويلز إلى استراليا ونيوزيلاند، كم أود رؤية خاتم الخطبة، مع حيي .. كاميلا".

فرحت ديانا بالخطاب الرقيق واعتبرته تصرفاً لبقاً من صديقة زوجها "كاميلا باركر" والتي هي زوجة صديقه ضابط الجيش "أندرو باركر باولز". في اليوم التالي وفي حفل عائلي بسيط ضم كل من ديانا وتشارلز والملكة اليزابيث والملكة الأم (اليزابيث الأولى) ووالد ديانا اللورد سبنسر، ووالدتها وشقيقتها، وشقيقها، وعدد قليل جداً من صحافيين مؤسسة القصر، ألبس تشارلز ديانا خاتم الخطبة، كان عبارة عن خاتم ضخّم من الذهب الأبيض مرصع بفص من الألماس الحر، عندما قرّب تشارلز الخاتم نحو بنصر ديانا ليُلبسها إياه، تذكرت ما حدث معها بالأمس من الملكة اليزابيث عندما كانت برفقتها لاختيار الخاتم، حيث اختارت ديانا خاتماً بسيطاً جداً من الذهب الأصفر ولا يحتوي على أية فصوص، فانهرتها الملكة اليزابيث قائلة:

- ما هذا الخاتم الذي اخترتيه؟ هذا الخاتم لا يليق بأميرة ويلز، فلتتخلي عن بساطتك المبالغ فيها هذه من الآن، وتصرفي كأميرة متطلبة ومتطلعة، أنتِ لم تعدي فتاةً عادية، أنتِ أميرة ويلز، لا تنسي هذا ابداً.

تعجبت ديانا من اللهجة القاسية التي خاطبتها بها الملكة اليزابيث، وشعرت منذ تلك اللحظة ان حياتها بدأت تتغير وعليها أن تتقبل الوضع الجديد وتتأقلم معه بسرعة .

- خذي هذا الخاتم الجميل، فهو يليقُ بكِ، أترين هذا الفص الأزرق في وسطه؟ إنه بلون عينيكِ الجميلتين .. قالت لها الملكة وهي تناولها خاتماً آخر.

تناولت ديانا الخاتم من يد الملكة وارتدته في بنصرها .

- ارأيتِ؟ كم هورائع في إصبعكِ، هكذا تكون الأميرات.

أفاقت ديانا من شرودها على سؤالٍ من أحد الصحفيين..

كيف تستعد الليدي ديانا لاستقبال حياتها الجديدة كأميرة ويلز؟

نظرت ديانا إلى تشارلز قبل أن تجيب، ثم كان ردها..

- ما دام تشارلز معي فلن أخشى شيئاً.

كانت نظراتها لتشارلز ملأنة حباً وغراماً.

كانت لاتزال تحتفظ ببساطتها في مظهرها كما في تصرفاتها بالضبط، فكانت طلتها في هذا اليوم غاية في البساطة ومع ذلك كانت رائعة، فكانت ترتدي ثوب بسيط من قطعتين(تاير) لونه أزرق متماشياً مع خاتم الخطبة، وكانت لأول مرة ترتدي حذاءً ذو نعلٍ عالٍ، فطالما كانت تفضل الأحذية الأرضية

وخاصةً الرياضية منها، لتسمح لها بحرية الحركة وتساعدتها على المشي السريع، هذه هي شخصيتها الحيوية النشطة ودائمة الحركة، وهذه الصفات التي تميزها عن باقي أفراد العائلة المالكة والتي لم ولن تستطيع التخلي عنها. في اليوم التالي للخطبة، ذهبت إلى تشارلز في مكتبه، ظلت تحدثه عن حبها له وعن أحلامها بالعيش معه، تحدثوا عن تفاصيل كثيرة تخص زواجهما كشكل الزفة والفستان والبزة، وترتيب غرفة نومهما، وعدد ونوعية الأطفال الذين يرغبان في إنجابهما، حتى ديكور غرفة الأطفال تخيلاً سويًا كيف سيكون.

وفيما هما منسجمان في حديثهما الممتع، دق الهاتف، رد تشارلز، علمت ديانا أنها كاميللا، تضايقت جداً، وشعرت بالغيرة، وظهرت على وجهها علامات الضيق والامتعاض.

- ألم تلاحظ معي أن كاميللا تهاتفك كثيراً؟
- ماذا تقصدين؟
- أقصد أنها مهتمة بك أكثر من اللازم، وأنت أيضاً تبالغ في الاهتمام بها، وهذا يزعجني، أرجو أن تراعي مشاعري، الطبيعي أن تهتم بي أنا أكثر من أي امرأة أخرى.. أليس كذلك؟
- إنها مجرد صديقة ليس أكثر، بل هي صديقتي المقربة، وأنت تعلمين ذلك.
- ما أعلمه شيئاً واحداً، هو أنني أصبحت خطيبتك الآن، وسأصبح زوجتك عما قريب، ولا يجدر بك أن تهتم بامرأة أخرى غيري حتى لو كنت تعتبرها مجرد صديقة مثلما تقول، أعتقد أنك لم تعد بحاجة إلى مصادقة النساء بعد اليوم.

- لن أسمح لك بفعل هذا، لن أدعك تتدخل في شئوني الخاصة،
وتحديدي لي ما عليّ فعله، اختياري لأصدقائي هو أمر خاص بي، وليس
لك شأنٌ به.

استشاطت ديانا غضباً حين أوجعها بهذه الكلمات القاسية.

- ليس لي شأنٌ به؟ ما هذا الكلام الذي تقوله تشارلز، إن لم يكن لي
شأنٌ بكل ما يخصك فهو شأنٌ من إذن؟
- أن الأوان أن تفيقي من سذاجتك هذه، متى ستنضجين؟
- أتسمي حيي لك وغيرتي عليك سذاجة؟
- نعم سذاجة وطفولة أيضاً، حبك هذا الذي تقرأينه في رواياتك
الرومانسية الساذجة لا يوجد في الواقع، ولو بقيتي على هذا الحال
لن تجلي لك ولي سوى التعاسة .. أفهمت؟

صُعقت ديانا من هول ما سمعته من حبيبها الذي لم يمر على خطبتهما
سوى يومٍ واحدٍ، انهمرت الدموع من عينيها وخرجت مسرعةً من مكتبه، حين
فتحت باب مكتبه وجدت سكرتيه الخاص جالساً على مقعد مكتبه الملحق
بمكتب تشارلز، ولا تدري لماذا شعرت بأن ثمة شيء مريب دفعها للتفتيش في
درج مكتب السكرتير، حاول السكرتير منعها لكنها أصرت على ذلك، وقد
صدق حدسها فمجرد أن فتحت الدرج الأوسط للمكتب وجدت فيه علبة بها
زري بزة مكتوب عليهما حرف "c" فهمت بفطنتها أن الحرف هو أول حروف
اسم كاميليا، فتأكدت من شعورها بأن خطيبتها على علاقة بهذه السيدة، وأن
الأمر ليس مجرد صداقة بريئة بينه وبينها كما حاول أن يوهمها، أخذت العلبة
عنوة من السكرتير ودخلت مكتب تشارلز مرة أخرى وواجهته بتلك العلبة،

والغريب أن تشارلز لم ينكر هذه المرة علاقته بتلك السيدة، بل والأدهى أنه صرخ فيها قائلاً:

- نعم أحب كاميللا، ليس هذا فحسب فهي أيضاً تحبني ونحن الاثنان على علاقة منذ عامين، أتريدي أن تسمعي ما هو أسوأ بالنسبة لك؟ سأسمعك ما تخشي سماعه، لن أترك كاميللا ياديانا حتى بعد زواجنا، سأظل أحبها، وسنظل نتواعد أنا وهي، ولا تحاولي منعي لأنك ستفشلي لأنني أصلاً لن أسمح لك بذلك.. ها ارتحتِ الآن؟

انهارت ديانا من تصريح خطيبتها بهذه الوقاحة والقسوة، وخرجت من مكتبه في أشد حالات غضبها متجهةً إلى الطابق الثاني، قالت لشقيقتيها..

- لا يمكنني أن أتزوجه، لا يمكنني.
ابتسمت لها شقيقتيها وربتت على كتفيها في حنو..
- حظاً طيباً أيتها الدوقة، فقد فات آوان الخوف والانسحاب، اتركي مخاوفك خلفك وسيري قُدماً.

ظننت شقيقتيها أنها تريد الانسحاب من هذا الزواج فقط لخوفها من الحياة الزوجية.

لم تستطع ديانا الإفصاح عما بداخلها لأحد واكتفت بالصمت، مشجعةً نفسها على استكمال ما بدأتها مهما كلفها الأمر.

- سأتحمل أي شيء حتى أتزوجه، سأجعله يحبني أكثر من أي امرأةٍ أخرى، سأبذل كل ما بوسعي لأفوز بقلبه، فهو لي ولن أتركه لامرأةٍ غيري.. قررت ديانا في قرارة نفسها.

في اليوم التالي رافقت ديانا تشارلز إلى المطار لتودعه، فقد أدركت أنها يجب أن تقوم بدورها كخطيبة لتشارلز وأميرة ويلز على أكمل وجه، على الأقل أمام الكاميرات التي باتت ترصد كل تحركاتها وتعبيرات وجهها.

بعدما صعد تشارلز إلى الطائرة، وقفت ديانا ترقبه من بعيد وتبكي ليس حزناً على فراقه الذي سيستمر خمسة أسابيع، لكنها بكت لما اكتشفتها مؤخراً، وهو عدم حبه لها، وأن قلبه مشغولٌ بحب امرأةٍ أخرى، هذا التصريح القاتل منه لها كان بمثابة طعنة نافذة في قلبها سببت له جرحٍ غائر لا تدري إن كانت باستطاعتها الشفاء منه أم لا .

سافر تشارلز في مهمته الرسمية وحين عاد منها وجد ديانا تنتظره في المطار كما ودعته قبل سفره منذ خمسة أسابيع وكأنها لم ترح أرض المطار منذ ذلك الحين.

- مرحباً حبيبي، افتقدك كثيراً الأيام الماضية.
- مرحباً عزيزتي.

لطالما خاطبها بهذه الكنية ولم يقل لها يوماً حبيبي ولو من باب المجاملة، ابتلعت شوكة كلمته التي وقفت في حلقها وكادت أن تخنقها لولا أنها اصبرت على ابتلاعها، رسمت ابتسامة مفتعلة على وجهها .

- "ابتسمي واطهري قوتك للناس مهما كانت حالتك النفسية" هذه المقولة ورثتها عن أمها وحفظتها منذ حداثتها، وقد حان الوقت لتطبيقها على أرض الواقع.

مرت الشهور سريعاً وحن موعد الزفاف الملكي المنتظر، فالجميع ينتظر هذا اليوم السعيد، الملكة اليزابيث، وتشارلز، والصحفيون، والشعب البريطاني بأكمله، وكلهم يأملون شيئاً واحداً من هذا الزواج هو تغير حال

بريطانيا إلى الأفضل وأن يعود الهدوء إلى شوارعها كسابق عهدها، ما عدا ديانا وحدها التي كانت تأمل شيئاً آخر.. تأمل الحب!

في عشية الزفاف أصيبت ديانا بالبوليميا، وهي مرض عصبي يؤدي إلى الشراهة المفرطة في الطعام ثم تقيؤه، فقد كانت شديدة التوتر تلك الليلة وتقيأت كثيراً.

وسط كل هذا القلق والتوتر والخوف حدث شيئاً جميلاً لديانا لم تكن تتوقعه، فقد أرسل إليها تشارلز رسالة غاية في الرقة مكتوبٌ فيه..

- "فخورٌ بكِ جداً، ألتقيك على مذبح سان باولو غداً، انظري في أعينهم بثقة واهبرهم".

ومع الرسالة خاتم ممبروشارة أمير ويلز.

طمأنتها رسالته نوعاً ما ولكن ليس بشكل كبير، إذ لم تكن متأكدة إذا ما كانت هذه الرسالة هي من قلبه فعلاً أم إنها مجرد تشجيعاً لها على استكمال دورها في المسرحية الهزلية التي تلعبها العائلة المالكة والتي أقحموها معهم فيها بإرادتها أو بغير إرادتها.

يوم زفافها الأسطوري، استيقظت ديانا في الخامسة صباحاً يوم ٢٩ يوليو ١٩٨١م.

- ما هذا الهدوء المقلق الذي يستحوذ علي؟! أشعر بأنني حَمَلٌ يساق إلى الذبح!.. حدثت ديانا نفسها.

كان القصر مشغولاً بتنظيف الخيول وتجهيزها لموكب العرس، وجنود الجيش يستعدون بتدريباتهم العسكرية، والعاملين بالقصر يفرشون الستائر و أفرشة الأسرة الجديدة لاستقبال العروسين.

خرج اللورد سبنسر والد ديانا من منزله في الثامنة صباحاً، وبالطبع كانت الصحافة بانتظاره لتسمع منه تعليقه على زواج ابنته من أمير ويلز، كان سبنسر الأكثر فخراً هذا اليوم، هذا الرجل الخمسيني، والذي كان وجمياً من وجهاء إنجلترا الأرستقراطيين، طويل القامة، عريض المنكبين، وسيم، ذو عينين خضراوين وشعر أشقر ناعم. حين سأله الصحفيين عن مشاعره في هذا اليوم قال:

- أردت ان ألقى كلمة بهذه المناسبة السعيدة.

ثم اخرج ورقة صغيرة من جيب قميص بزته الرمادية وقال..

- "عبر القرون قاتل آل سبنسر في سبيل ملكهم وبلادهم، واليوم تسعى ديانا لإسعاد بلادها بقية حياتها، ستسير على خطى أسلافها وتقاليدهم، وسيكون بجانبها الرجل الذي تحبه".

حشودٌ هائلة كانت تنتظر العروسين بالخارج، حيث أن الدولة منحت العاملين بها عطلة رسمية للاحتفاء بزفاف الأمير والأميرة.

هذا الزفاف كان بمثابة نسمة الهواء التي ستعشش البلاد المعذبة، حيث كانت إنجلترا في ذلك الوقت تعج بالمشاكل الاجتماعية المروعة، وكانت البطالة أوشكت على النيل من ثلاثة ملايين نسمة، لذلك كانت الاضطرابات تعم البلاد، وأعمال الشغب تنتشر في كل ربوع إنجلترا وخاصة مانشستر، وبرستول، وليفل كول، والأمركان أكثر سوءاً في لندن.

في ذلك العام، كانت المملكة المتحدة تعاني مخاض أزمة اجتماعية واقتصادية خطيرة، لقد وصلت "مارجريت تاتشر" إلى السلطة، وبدأت بفرض اجراءات تقشف شديدة.

عم الاستياء جميع أنحاء البلاد، في الشارع ينتفض الشباب الثائر على السياسة الظالمة للمرأة الحديدية - كما كانوا يلقبونها- وفي القصر تستعد العائلة المالكة لاستمرار النظام الملكي، فكروا حينها في زواج تشارلز، ووجدوا أن هذا الحل هو الأنسب في الوقت الراهن، وهو ما تحتاجه البلاد كي يُنسي الشعب كل الأخبار السيئة.

أخيراً ظهر العروسان في التاسعة صباحاً أمام سبعمئة وخمسون مشاهد عبر التلفاز وفي الشوارع وفي أنحاء العالم.

كانت التعابير المرسومة على وجه الملكة اليزابيث تشي بسعادتها البالغة بهذا الزواج، فكانت آمالها كبيرة في ديانا التي ستكون امتداداً لها، كما أنها ستنجب لها ولي العهد الذي سيضمن استمرار التسلسل الملكي لعائلة "ويندسور".

وقفت الملكة اليزابيث بجوار ديانا تلمي عليها تعليماتها، كانت تقول لها:
- ارفعي يدك اليمى ولوحي للناس بابتسامة خفيفة.

كانت ديانا تفعل ما تلميه عليها الملكة دون اعتراض، كانت تلوح للناس بيدها اليمى مع ابتسامة هي في الحقيقة ابتسامة كبيرة طبيعية غير مصطنعة وغير رسمية لكنها عفوية جداً مازادها سحراً وجمالاً فوق جمالها الأخاذ، فقد بدت في هذا اليوم أجمل من كل مثيلاتها الأميرات يوم زفافهن، ففستانها الأبيض المطفأ المائل إلى اللون السكري، والذي صمم خصيصاً لها، واستغرق أكثر من شهرين في إعداده أصبح أيقونة الموضة في ذلك العام والأعوام التي تلتها، كان الفستان ذو فتحة صدر كبيرة، وأكمام منتفخة تصل إلى نصف ذراعها، وكان ذيله طويلاً جداً يصل إلى خمسة وعشرين متراً، وكذلك كان طول طرحتها البيضاء التي غطت شعرها الأشقر القصير الذي كان مصففاً بشكل مثريزينة تاجاً ملكياً مرصعاً بالألماس، ابتسامتها الرقيقة

كان لها تأثيراً أروع من تلك المساحيق التي كانت تزين وجهها الجميل، كانت تحيطها أربعة إشبينات في عمر الزهور (الاشبينات هن وصيفات العروس، والتي تتبعناها حاملات ذيل الفستان، كما أنهن يقفن بجوار العروسان في الكنيسة حاملات شموع الاكليل) كانت ترتدين فساتين بنفس لون وموديل فستان العروس، كانت اثنتان منهن مسئولتان عن ذيل الفستان والاثنتين الأخريين مسئولتان عن طرحها الطويلة جداً. كانت تمسك بيدها باقة ضخمة من زهور "اللورد ماونت باتن" تتدلى منها أعضانٌ خضراء تصل إلى ما يقرب نهاية طرف الفستان.

أما الأمير فكان يرتدي بزة عسكرية كحلية اللون، مزينة بمجموعة من النياشين والازرار المرسوم عليها شارة أمير ويلز.

ركبا عربة الزفاف الملكي التي كانت عبارة عن كابينة من العاج يجرها اثنان من الخيول الملكية، سارت بهما العربة وحولهما الزفة العسكرية حتى باب كنيسة "سان باولو"، وصلا في تمام العاشرة صباحاً.

نزلا من العربة وسط تصفيق حار من الجمهور المجتمع أمام الكنيسة لحضور عقد اكليلهما، دخلا الكنيسة، وسارا في الممر الطويل حتى وصلا إلى المذبح، بدأت المراسم والطقوس الدينية في الانطلاق، بدأ كاهن الكنيسة في تلاوة الوصايا الخاصة بالعريس على تشارلز، وبدأ تشارلز بدوره في تلاوتها تابعاً للكاهن، حتى إنتهى منها جميعاً، وجاء الدور على ديانا لتتلو وصايا العروس، ظلت تردد هذه الوصايا تباعاً وراء الكاهن حتى جاءت عبارة "سأكون مطيعة لزوجي وسأخضع له ولأوامره" فرفضت ديانا تلاوة هذه الوصية وسط اندهاش الحضور، وسرعان ما عالجت الأمر واستبدلت تلك العبارة بعبارة أخرى وهي "سأكون مُحبة لزوجي ومخلصة له"، مر الموقف بسلام وانتهى عقد الاكليل.

خرج العروسان من الكنيسة وسط تهاني الحضور ودعواتهم بإنجاب أولاداً مباركين من الرب والذين سيخرج منهم ولي العهد.
ركبا عربة الزفاف مرة أخرى عائدين إلى القصر، عندما وصلا، دخلا القصر ولا زالت تتبعهما الإشبينات الأربعة، صاعدات معهما إلى الطابق الثاني، هنا قامت ديانا بمنتهى البساطة والتلقائية بحمل أصغر الإشبينات سناً على ذراعها ومداعبتها قائلةً لها:
- يبدو أنكِ أرهقتِ جداً اليوم.

ثم قبلتها وأنزلتها مرة أخرى على الأرض، لكن يبدو أن هذا التصرف العفوي من ديانا لم يروق للملكة اليزابيث حيث رمقت ديانا بنظرة معاتبة دون أن تتفوه بكلمة واحدة، فهمت ديانا تلك النظرة لكنها لم تبالِ بها، يبدو أن ديانا ترفض في قرارة نفسها التخلي عن شخصيتها العفوية وتصرفاتها التلقائية حتى بعد أن أصبحت اميرة ويلز.

تغيرت مكانتها الاجتماعية لكن لم تتغير طبيعتها، رغم كل النصائح التي تلقها خلال فترة الخطبة بضرورة التغيير، فالملكة اليزابيث نصحتها بالتخلي عن بساطتها عند اختيارها لخاتم الخطبة، والأمير تشارلز طالها بالتخلي عن براءتها التي أسماها سذاجة، حتى شقيقتها قالتا لها أن تتخلى عن مشاعرها المرهفة التي أسميتها خوف، لكنها في الواقع لم تبالِ هي بأيٍّ منها.

(٩)

بداية المتاعب

في صباح أول يوم للزواج الملكي، استقلا العروسان يختاً كبيراً لتمضية شهر العسل به في عرض البحر، ما إن دخلت ديانا اليخت، أغلقت الباب وبادرت بتقبيل زوجها محاولةً إذابة الثلج بينهما، فرغم الشعور المسيطر عليها تجاه كاميللا صديقته منذ فترة خطبتهما إلا أنها أبت أن تترك لها ساحة القتال وتنسحب من المعركة مهزومة، آثرت البقاء وإشهار كل أسلحتها في وجهها، فمثلها يرفض الهزيمة أو الاستسلام من أول جولة، لكن يبدو أن الهدف الذي تحارب من أجله يميل إلى غريمتهما، كانت ردة فعله تجاه مبادرتها الحميمة باردة خالية من أي شرارة كبادرة لإشعال نيران الحب بينهما، حين ناولته شفتها الملتهيتين شوقاً ليقبلهما؛ تصورت أنه سيلتهمهما حتى ولو من باب التقليد الزوجي، إلا أنه قبلها قبلة باردة لا تنم عن اشتياق عريس لعروسه في بداية حياتهما الزوجية والتي يبدو أنها لن تكون سعيدة على الإطلاق.

طُعنَت ديانا في كبرياتها الأنثوي، بكت أول أيام شهر من المفترض أنه يقال عنه إنه شهر العسل .

- لماذا تبكين ديانا؟ .. سألهما تشارلز متظاهراً بجعله بالسبب.
- لماذا تعاملتي هكذا تشارلز؟ لماذا تتعمد جرحي وإهانتني؟
- من قال لك هذا؟ أنا لا أتعمد جرحك أو إهانتك مثلما تقولين، كل ما هنالك أنني أحتاج لبعض الوقت كي أعتاد على حياتنا الجديدة سوياً.
- حقاً؟ أهذا كل شيء؟ أم أنك لا تحبني؟

- ماذا تقولين؟
- نعم تشارلز أنت لا تحبني، أعلم انك تحب كاميلاً كما اعترفت أنت لي في السابق، لكن ما ذنبي إن كنتُ أحبك؟! اعطني واعطي نفسك فرصة كي يتقرب كلانا من الآخر، فأنا احبك جداً تشارلز ولولا حيي لك ما كنتُ و وافقت على الزواج بك رغم معرفتي بلاقتك بكاميلاً.
- لا داعي لمثل هذا الكلام ديانا، فأنا أيضاً لولا حيي لك ما كنتُ تزوجتك، وإن اختلف مفهوم كل منا عن الحب.
- لا تغالط نفسك تشارلز، أنت لا تحبني، زواجك مني ليس حب، وأنا وأنت والعائلة المالكة أيضاً على يقين بالسبب الحقيقي لزواجنا.
- ماذا تقصدين؟
- أقصد ما فهمته بالضبط تشارلز
- حتى لو ما تقولينه صحيح، فالنتيجة واحدة، وهي أننا أصبحنا زوجين، لذلك لا تشغلي بالك بامرأة أخرى، فما يهمك هو أنني زوجك، ألا يكفيك هذا؟
- لا تشارلز، لا يكفيني هذا، فما الفائدة من قربك مني جسدياً فقط أما قلبك وروحك وكل كيانتك مع امرأة غيري؟! مجرد التفكير في هذا الأمر يزعجني ويشعرنني بالاهانة.
- وما المطلوب مني إذن؟
- أمسكت بذراعيه ونظرت في عينيه وطلبت منه راجيةً:
- أتمنى لو أنك قطعت علاقتك بتلك المرأة تشارلز، أليس من حقي أن تكون لي أنا وحدي؟
- ما هذا الكلام الساذج؟ ألم يسبق لي أن قلتُ لك أني لن أتركها حتى بعد زواجي منك؟ وأنت برغم ذلك وافقتِ على زواجنا، إذن

فلتتحلمي وجودها في حياتي ولا تعترضني، وإلا فأنتِ من ستخسرين في النهاية.

- كف عن نعتي بالساذجة، ولا تجاوب على سؤالي بسؤال.
- ديانا اسمعيني، لو لم أحبك ما كنتُ تزوجتك، غير أنك امرأة جميلة، طيبة القلب، رقيقة المشاعر، ألف رجل يتمنى الارتباط بفتاة مثلك.
- وأنا لم أتمنى في حياتي رجلاً غيرك، أنا أحبك ياتشارلز، أحبك بجنون، كنتُ أودُّ لو أنك أشعرتني بحبك لي بدلاً من أن تكون كلمة "أحبك" مجرد كلمة تلقىها في وجبي لتريحني، أنتَ تزوجتني لأنني فقط عروس مناسبة لك كأمرير للبلاد ليس أكثر، أليس كذلك؟
- كلُّ منا له طريقته الخاصة في الحب ديانا، أنتِ شخصية رومانسية أكثر مما ينبغي، أما أنا فرجلٌ عملي، الحب عندي أمرٌ ثانوي.
- لماذا تزوجتني اذن مادمت تعلم أنني فتاة رومانسية وأنت رجل عملي؟!
 - يووووه، ألا تكفي عن طرح مثل هذه الأسئلة السخيفة؟ أنتِ مزعجةٌ حقاً، سأتركك لهواجسك وأخرج أنا للصيد، فلا عندي وقت ولا استعداد لمناقشة هذه السخافات.

أخذ عُدة الصيد الخاصة به، وذهب إلى الشاطئ، حيث كان يقف الميخت، تركها وحيدة أحزانها وكآبتها، لا أحد يؤنس وحدتها في هذا السجن الموحش، فكرت في مهاتفة صديقتها ليزا لكنها ترددت، فماذا ستقول لها عندما تسألها صديقتها عن رأيها بالزواج؟ هل ستصارعها بالحقيقة المرة أم أنها يجب عليها أن تُجَمِّل الحقيقة حتى تظهر بمظهر الزوجة الأكثر سعادة في الوجود، لكنها تعلم أنها لن يمكنها فعل ذلك مع صديقتها الأقرب لقلبي والتي لطالما فهمتها وشعرت بها حتى قبل أن تبوح لها بأي سر من أسرارها.

رفعت سماعة الهاتف وقربتها إلى أذنها، بدأت في كتابة الرقم على قرص الهاتف، وقبل أن تكمل كتابته تراجعت في اللحظة الأخيرة، وأعدت السماعة إلى مكانها، تهتدت تهيدة حزينة سقطت معها دمعة من عينيها، لم تقدر على حبسها أكثر من ذلك.

- سأهاتفها وليحدث بعدها ما يحدث (فكرت ديانا) أحتاج لأحد قريب مني يشاركني هي.

جففت دمعتها وعاودت الاتصال بصديقتها.

- ألو، ليزا؟ كيف حالك حبيبتي؟
- وأنا أيضاً أفتقدك جداً.
- لا شيء، فأنا بخير، اطمئني.
- نعم ليزا، أنت محقة، أنا لست بخير، أنا متعبة جداً.

انهمرت في البكاء بالدرجة التي لم تتمكن معها من استكمال حديثها، تركت صديقتها على الهاتف وظلت تبكي بحرقة، ثم تمكنت أخيراً من استعادة هدوءها .

- أنا أسفة ليزا.. ثم استطردت:
- ماذا أقولُ لك؟ تشارلز ليزا، تشارلز لا يحبني.
- مثلما سمعت بالضبط، أنا متأكدة مما أقوله لك، تشارلز يحب امرأةً غيري.
- نعم صدقيني، هذا ما يحدث بالفعل، أنا نادمة على زواجي منه، أشعر أنني تسرعت في الموافقة على هذا الزواج من البداية.
- أحاول التقرب منه قدر استطاعتي لكنه لا يعطيني الفرصة.

- حسنٌ، سأعمل بنصيحتك وأتحمل، ولن أستسلم، سأحاول مرة واثنتين وثلاث لعل الله يغير قلبه ويجعله يشعر بي .
- أشكرك حبيبتى، أسفة نسيتُ أن أسألكِ عن أخباركِ؟ طمئنيني عليكِ، ماذا فعلتِ بعد أن عُدتِ إلى بيتِ أسرتكِ، بعدما تركنا شقتي نحن الثلاثة؟
- ليتهما دامت تلك الأيام الجميلة.
- وماري؟ كيف حالها؟
- بلغها سلامي وأشواقي، قولي لها ديانا تفتقدك كثيراً كما أنها تفتقد شايكِ اللذيذ الذي اعتادت تناوله من يدكِ.
- حسنٌ حبيبتى، مع السلامة.

أغلقت ديانا الخط، ثم عادت لأحزانها، قامت تبحث عن طعام تلتهمه كي تنفس به عن غضبها الذي سببه لها هذا الزوج الخائن، عادت إليها البوليميا مجدداً، كانت كلما التهمت طعاماً تقيأته بعد دقيقتين.

بقيت على هذا الحال طيلة شهر العسل، انتابها الكوابيس، كانت تحلم كل ليلة بكاميل، تراها تتأبط ذراع زوجها مبتسمة لها ابتسامة كيد، تنتفض من نومها فزعة باكية، مرت الأيام ثقيلة، فقدت فيها وزنها بشكل ملحوظ، ما كان يزيد آلامها هو نظرة الناس لها أنها امرأة محظوظة، ومن المؤكد لديهم أنها تعيش أسعد أيام حياتها كونها زوجة أمير انجلترا.

ظل اليخت يبصرهما إلى أن وصل إلى بالمورال، وما إن نزلا من اليخت مباشرةً حتى وجدا الجميع في انتظارهما، جميع أفراد العائلة المالكة، ووالد ديانا وشقيقتها، لاحظوا نقصان وزنها بشكل كبير، سألوها عن السبب فلم

تتمكن من ذكر السبب الحقيقي وهو تعاستها مع من يعتقدون أنه جعلها أسعد امرأة في الكون.

كانت تتظاهر بالسعادة وتقول لهم بأنها خسرت الكثير من وزنها لإتباع حمية قاسية للحفاظ على رشاقتها.

في المورال، ساءت حالتها أكثر، شعرت بأن العالم ينهار من حولها، كان يُخيل لها أن كاميلاً تهاتف تشارلز كل خمس دقائق لتخبره عما يجب فعله في الزواج، راودتها كثيراً أفكاراً يائسة حثتها على انهاء حياتها، وكانت كلما أقبلت على فعل مثل هذا التصرف، تراجع وتعدلت عن الفكرة.

أخيراً تحرك تشارلز عندما رأى حالتها تسوء يوماً بعد يوم، أحضر لها أطباء نفسيين لمساعدتها على الخروج من حالة الاكتئاب التي بدت واضحة جداً في الآونة الأخيرة، بالدرجة التي لا يمكن اخفاؤها عن أحد.

كانت ترفض إخبار الأطباء عن سبب كآبتها، اعتبرت أنه مجرد الإفصاح عما بداخلها هو بمثابة طعنة لزوجها، وبرغم الطعنات المتوالية التي تلقته منه إلا أنها لا تريد أن ترد له الطعنات بطعنات مثلها، هي لازالت تحبه.

لم تتحسن حالتها رغم وجود الأطباء معها بشكل شبه مستمر، مكثا في المورال مدة شهرين كاملين.

وفي الليلة الاخيرة لهما هناك، شعرت بالإعياء الشديد والغثيان، فأحضر لها تشارلز الطبيب الذي كشف بدوره عليها وزف لهما خبر البشارة المنتظر..

- الأميرة حُبلَى.

انتفضت ديانا من على سريرها إبتهاجاً بالخبر السعيد، والذي كان بالنسبة لها هو الدواء الذي أرسلته لها السماء لتطبيب جراحها، انشغلت بخبر حملها ما صرفها عن التفكير بكاميلاً.

في اليوم التالي سافرا إلى ويلز في أول زيارة رسمية لهما كأmir وأميرة، استقبلهما عمدة مدينة "كارديت" استقبالاً ملكياً لانقاً بهما، وأعد لهما حفلاً رائعاً لتكريمهما والاحتفاء بزواجهما.

- أشعر بالاعياء الشديد تشارلز، أعراض الحمل ترهقني.
- تماسكي ديانا، ولا تظهرى تعبك أمام الناس من فضلك، نحن هنا في مهمة رسمية، لا يجدر بنا أن يرانا الناس متعبين أو مرهقين.
- اطمئن، فلن أتسبب لك في أي حرج، وسوف أجعلك فخوراً بي.

وقفت ديانا على المنصة لتلقي كلمة قالت فيها.

- أنا ممتنة لك أيها اللورد العمدة، وإلى المجلس البلدي لمدينة كارديت لمنحي وسام المدينة، أدرك أنه تكريم عظيم، وأنا في غاية الامتنان، أود التعبير لكم عن شكري بلغة ويلز.. (شكرتهم بلغة ويلز).

صفق لها الجميع، أما تشارلز فلم تتلق منه أي ردة فعل تدل على تشجيعه لها وافتخاره بها، فأدركت في هذه اللحظة أنه لن يشجعها أبداً على أي عمل ستقوم به، فقررت أن لا تنتظر منه أي تشجيع وأن تعتمد على ذاتها، دون الاعتماد عليه.

انتهى الحفل وتوجهها إلى القصر الملكي ليستقرا هناك، كانت تزداد علامات الوحم عليها كل يوم، وكانت أفراد العائلة المالكة بالقصر ينتقدوها مندهشين لما يحدث معها معتقدين أنها تتدلل، أو أنها تريد لفت انتباه الجميع لها.

- تشارلز، انا متعبة جداً.. اشتكت ديانا لزوجها.
- لن أصغي لك، إنك تدعي الإعياء كي تلفتي انتباهي إليك.
- أرجوك تشارلز لا تقل هذا، أنا متعبة فعلاً، لماذا لا تصدقني؟!

- أنتِ لستِ متعبة، أنتِ فتاةٌ مدللة، لا يمكنكِ تحملِ المسؤولية، لا أدري كيف ستصبحين أما بعد شهرٍ معدودة؟
- أنتِ ترددِ نفسِ الاتهامات التي يلقيها كل من بالقصر في وجهي، لماذا لا تشعريني، أنتِ زوجي وأقرب الناس لي، لماذا إذن تسيء معامليتي؟
- لن أصغي إليك، وسأخرجُ حالاً لركوب الخيل أفضل من سماع شكواك التي لا تنتهي.

خرج تشارلز وتركها وحيدة كعادته، فخرجت وراءه مسرعةً، ومن شدة بأسها ألقت بنفسها من على درج السلم، سمعت الملكة سقوطها، جرت نحوها في فزع خوفاً عليها وعلى الجنين، اتصلت بطبيب النساء فأتاها مسرعاً، كشف عليها وطلب منها أن تستريح في فراشها وتستلقي على ظهرها حتى موعد الولادة.

مرت الشهور وجاء موعد الولادة، كان كل من الشعب والصحفيين ينتظرون خارج القصر، يرقبون خبر وصول ولي العهد، مرت ساعات طويلة والكل بالانتظار، ديانا حالتها حرجة وولادتها متعثرة.
أخيراً سُمع صوت هتاف خارج القصر يقول:
- إنه ولد... إنه ولد.

فعلمت ديانا من هتاف الشعب إنه ولد، فرحت جداً، فبولادة ولي العهد ستزداد قوتها في القصر، كما أنها توسمت في هذا المولود أن يقرب بينها وبين أبيه.

أراد تشارلز أن يسميه "البرت" لكن ديانا رفضت على إعتبار أن هذا الاسم قديم ولا يصلح للعصر الحالي واختارت له اسم حديثاً اختارت اسم "وليام".

فرح تشارلز في البداية بقدوم المولود، وبدأ يهتم به، كان يذهب كل ليلة إلى غرفته ويرضعه بالزجاجة، إلا إنه سرعان ما عاد إلى سابق عهده، أصبح يتأخر كل ليلة خارج المنزل، ولا يأتي إلا في الساعات الأولى من الصباح. بدأت تساورها الشكوك، فتارةً تتخيله مع عشيقته، وتارةً أخرى تخشى أن يكون قد حدث له مكروهاً، لكن في كل الأحوال لم يكن بيدها ما تفعله سوى أن تحتضن مولودها وتبكي.

فكرت يوماً أن تذهب إلى الملكة وتشكو لها من تشارلز، وبالفعل ذهبت إليها في مكتبها، حين دخلت إليها وجدتها منكبته على أوراقها التي أمامها على المكتب، فاستأذنتها أن تمنحها جزء من وقتها، سألتها الملكة اليزابيث دون أن تنظر إليها:

- ماذا تريدان ديانا؟ أنا مشغولة جداً كما ترين.
- أيرضيكى جلالة الملكة ما يفعله بي تشارلز؟ إنه لا يحبني، ابنك لا يحبني جلالة الملكة، إنه لا يهتم بي ولا بابننا، قولي لي ماذا أفعل؟
- ديانا، ليس لدي وقت لسماع مشاكلك أنتِ وتشارلز، تعاملني أنتِ بنفسك مع مشاكلكما و اتركيني لمهامي.
- لا أحد في هذا البيت يهتم لأمرى، لا أحد يريد حتى سماع شكواي.. بكت ديانا.
- جُرِّي على أسنانك، ولا تظهري معاناتك لأحد، فالصورة الملكية يجب أن تظل كما عاهدها الناس، صورة كاملة لا ينقصها شيء، على كل من في القصر أن يظهروا أمام الجميع أنهم سعداء .. أفهمتي؟

انسحبت ديانا خائبة الرجاء، بعد أن خذلتها حمايتها التي لم تكن أقل سوءاً من ابنتها، فكل ما يهمها هو صورتها وصورة العائلة المالكة أمام الناس ولا يهم ما يحدث خلف الجدران.

أتم وليام ستة أسابيع، وجاء موعد تعميده الذي لم يخبرها به أحد، فرغم أنها أمه إلا أنها كانت آخر من يعلم.

لم يسألها أحد عما إذا كان موعد تعميده وليام مناسب له أم لا، شعرت بأنها شيء مهمل لا قيمة له ما سبب لها ضيق، إلا أنها تفعل ما يطلب منها تماماً تبتسم للكاميرات وكأنها أسعد زوجة وأم.

بعد مرور شهر على ولادة وليام، ذهبت هي وتشارلز إلى استراليا في مهمة رسمية، عندما وصلوا وجدوا حشوداً هائلة بانتظارهما في الشوارع والميادين، كانت الناس تهتف باسمها ما أثار دهشتها ودهشة زوجها، كما أن الكاميرات التقطت أعداداً لا حصر لها من الصور.
ألقي تشارلز كلمته للجمهور قائلاً:

- "السيدات والسادة، كنتُ هنا قبل عامين، قبل أن أتزوج، في ذلك الوقت تمنى الجميع لي حظاً طيباً، وأن تسير الأمور على ما يرام، وقالوا لي: إنني محظوظ بخطبة فتاة رائعة مثل ديانا، لقد كنتُ محظوظاً كفاية لأتزوجها".

تظاهرت ديانا بسعادتها من سماع هذه الكلمات الجميلة من زوجها في حقها، لأنها توقن في قرارة نفسها أنها مجرد مشاهد تكميلية للتمثيلية التي على كل منهما أن يقوم بدوره فيها على أكمل وجه.
بات جلياً إزدياد شعبية ديانا وحب الناس لها والتفافهم حولها أكثر من تشارلز.

أثناء مرورهما في الموكب بسيارتهما وسط حشود الناس، سمعا الناس يقولون:

- نحن على الجانب الخطأ، نريد رؤيتها هي وليس هو.

ما أثار غضب تشارلز وغيرته، وكان كلما حدث شيء من هذا القبيل صب عليها غضبه.

- ماذا تفعلين للناس كي يحبونك هكذا؟ لماذا يهتفون باسمك؟ ولماذا يلتفون حولك غير مباليين بوجودي معك؟

- ليست لي يد فيما يحدث تشارلز، ماذا يمكنني أن أفعل حيال ذلك، لا أدري لماذا أنت منفعل هكذا!

- أنا الذي أريد أن أفهم لماذا تهتمي كل هذا الاهتمام بتواصلك مع الناس! إنك ممثلة بارعة، تجيدين خطف الأنظار، وتتفننين في جذب الانتباه إليك.

- أنا يا تشارلز؟ سامحك الله، أنا لا أدعي حبي للناس ولا أمثل عليهم الحب كما تهمني، أنا أحبهم فعلاً، وأعتقد هذا هو السر، مثلما أحبهم يبادلوني حباً بحب، تشارلز حبيبي، أنت من وضعت حجر الأثاث لزوجتك لتبني عليه، يجب أن تفهم هذا جيداً وتصدقه.

لم يبدو على تشارلز الاقتناع بكلامها حتى أنه لم يعلق عليه.

خلال كلمته التالية، حين وقف على المنصة علق على حب الناس

لزوجته أكثر منه قائلاً:

- كنتُ أود لو أن لي زوجتان، واحدة عن اليمين والأخرى عن اليسار، تغطيان جانبي الطريق، وأنا في الوسط أدير العملية!

في الواقع، إن زيارتهما لأستراليا كان لها وقع السحر عليها، حيث أن حب الناس لها زادها ثقة بنفسها، عادت من رحلتها إنسانة مختلفة، أحسّت بأنها أكثر نضجاً وقدرة على استيعاب الأمور والتعاطي معها، كما أنها وجدت في حب الناس ضالتها التي لم تجدها في زوجها.

(١٠)

عودة البوليميا

بعد عامين من ولادة "وليام" حملت ديانا للمرة الثانية، وكانت فترة حملها تلك من أسوأ الأيام التي مرت بها في حياتها، حيث ساد الظلام الحالك، وزادت الفجوة بينها وبين زوجها للدرجة التي جعلتها تلجأ إلى طبيب نفسي يدعى "ميشيل"، والذي كان يأتيها كل ليلة للتحدث معها محاولاً مساعدتها للخروج من حالة الاكتئاب الشديدة التي انتابتها، سألتها ميشيل في أول زيارة لها:

- كم مرة حاولت الانتحار؟

لم تصدق ديانا سؤاله، وتساءلت: - كيف عرف أنني حاولت الانتحار!

- لا أذكر بالتحديد، ولكن حوالي ثلاث أو أربع مرات.. أجابته.

- هل كانت كل تلك المحاولات لنفس السبب؟

- نعم، بسبب معاملة تشارلز السيئة لي، فمنذ زواجنا وهو لم يشعرني

يوماً بحبه ولا بأهمية وجودي في حياته، حاولت كثيراً التقرب منه،

وتضيق الفجوة بيننا لكنني فشلت، فكانت الفجوة تزداد في الاتساع

يوماً فيوم إلى الدرجة التي جعلتنا شبه منفصلين.

- كيف؟ هل يمكن أن توضحني أكثر من فضلك؟

- تشارلز يبيت في غرفة منعزلة عن غرفة نومنا، لا أراه إلا أوقاتاً قليلة

جداً، لا يحاورني أبداً رغم أنني كثيراً ما أحتاج محادثته، لكنني كلما

حاولت صدني وسخرمني وتركني وغادر.

- هل هذا هو نمط علاقتكما منذ زواجكما؟ أم أن هذا الأمر ظهر مجدداً في الآونة الأخيرة فقط؟
- منذ أول يوم في زواجنا، ولكن الأمر إزداد سوءاً كلما تقدمت بنا الأيام.
- معذرةً في سؤالي.. ماذا عن علاقتكما الحميمة؟

أطرقت ديانا برأسها خجلاً ولكنها أجابته بمنتهى الأمانة:

- ماذا أقول لك دكتور؟ لا أخفيك سراً، فالعلاقة بيننا باردة، بل شبه معدومة، لا يشترق لي مثلما يشترق أي زوج لزوجته، ولا يقترب مني إلا مرات قليلة معدودة بعد إلحاحي عليه، وإعراي له عن شوقي له.

بكت ديانا فور تصريحها هذا، لطالما تُخفي أوجاعها في قلبها ولا تبوح بها لأحد، لكنها في هذه اللحظة شعرت أنها تخاطب نفسها في المرأة، ما جعلها تبوح بكل ما تخفيه كل هذه السنين، أرادت أن تزح عن صدرها همماً ثقيلاً كاد أن يودي بحياتها، كالغريق الذي تعلق بقشة لتنقذه من غرقه .

- وماذا عن علاقتك بالملكة اليزابيث؟
- مثلها مثل علاقتي بتشارلز، ليس بيننا أي نوع من التفاهم، حتى أنها لم تسمع شكواي إذا ما حاولت الشكوى لها من ابنها، لا أحد هنا يهتم لأمرى، لا أحد يريد سماعي، كلهم يعتبروني فتاةً مدللة، ولا يحترموا رغباتي ولا حتى شخصيتي.
- نعود للأمير تشارلز، ما سبب ابتعاده عنك في اعتقادك؟
- لأنه يحب امرأةً أخرى.

تعجب الطبيب من صراحتها ولم يعلق.

استطردت ديانا قائلة:

- نعم دكتور، تشارلز يحب امرأةً غيري، تدعى كاميليا باركر، وأنا أعلم بعلاقتهم منذ فترة خطبتنا لكنني ومع ذلك أصررت على استكمال زواجنا، كان لديّ أمل أن زواجنا سيقربنا من بعض، ويجعله يترك هذه المرأة، خاصة أنها متزوجة ولديها ابن، لكن في الحقيقة أنني كنت مخطئة في تصوري هذا، لأنه بدلاً من أن يهتم بي ويتركها هي، فعل العكس، ازداد تقربه منها وابتعاده عني!

بكت ديانا للمرة الثانية.

لا تبكي سمو الأميرة، لن أثقل عليكِ أكثر من ذلك، سأتيكِ غداً، ولأتركك الآن لتستريحي .

تركها طبيبها وغادر، شعرت في أول زيارته لها براحة نفسية نوعاً ما، يبدو ان كل ما كانت تحتاج إليه هو البوح لأحد يسمعها، مجرد الكلام خفف آلامها ولو قليلاً.

توالت زيارات الطبيب ميشيل لها، فقد كان يأتيها كل ليلة، وكانت في كل مرة تشعر بتحسن حالتها النفسية، ذات ليلة سألتها قائلاً:

- اخبريني سمو الأميرة.. هل يغار سمو الأمير تشارلز من نجاحك؟
- نعم إنه يغار جداً من نجاحي، كلما رأى حب الناس لي أكثر منه شعر بالغيرة، ويتصرف معي بعنف كما لو كنت عدوته، يستشيط غضباً كلما اطلع على الأخبار في الصحف ووجد صوري وأخباري تنصدر الصفحات الأولى منها.
- وماذا تفعلين حيال ذلك؟

- كثيراً ما حاولت امتصاص غضبه، كنت أقول له أنه هو من له الفضل فيما يحدث معي، وأنه هو السبب في حب الناس لي، لكنه لا يصدقني عادةً ويرفض أن يسمعني.
- لا تبتأسي سمو الأميرة، ليست لديك أية مشكلة، أنتِ انسانية رائعة ومحبوبة من الجميع، وفوق كل هذا فانتي قوية جداً، يكفي أنكِ تتحملين كل هذه الأوجاع في قلبك وتخفينها بابتسامتك الجميلة، صدقيني أنتِ أقوى امرأة رأيتها في حياتي، وستغلبين على متاعبكِ في أسرع وقت ممكن.

حين قال لها طبيبها هذا الكلام المشجع، شعرت بان باباً من الأمل انفتح في وجهها، كلامه لها منحها ثقة أكبر في نفسها.

- حقاً دكتور؟ ساتغلب على متاعبي؟ سألته ببعض الأمل.
- بالتأكيد سمو الأميرة، فقط خذي الخطوة الأولى بمقاومة الاكتئاب والانفتاح على الحياة، وستأتيكِ باقي الخطوات تبعاً من تلقاء نفسها، ثقي بي.

ارتسمت على وجهها أسارير البهجة، ووعدهت أن تُشفى سريعاً، وألا تستسلم لليأس كما نصحتها.

- أشكرك جزيلاً دكتور ميشيل، لا تدري كم أن كلماتك المشجعة أعادت لي ثقتي بنفسي، ممتنة لكِ جداً، أعدك بأنني سأعمل بنصائحك من الآن.
- عظيم جداً، هذا ما أنتظره من سموك، وأعتقد أنكِ لستِ بحاجة لي من الآن، لذا فسأتيكِ مرة واحدة فقط بالأسبوع كي أطمئن عليكِ.
- حسنٌ دكتور، سأكون بانتظارك.

- وداعاً سمو الأميرة.

- وداعاً دكتور.

مرت الشهور، وجاء موعد ولادة مولودها الثاني، كان تشارلز يتمنى أن يكون المولود بنتاً هذه المرة، لكن ارادة الله شاءت أن يكون ولداً ثانياً، حزن تشارلز في البداية، لكنه سرعان ما أحب المولود، بل وتعلق به أكثر من ابنه البكر "وليام"، أراد أن يسميه "آرثر" لكن ديانا أصرت على تسميته "هاري".
برغم خلافاتهما المستمرة إلا أنه لم يفرض عليها أسماءً بعينها لابنهما، كان فقط يقترح الأسماء ويترك القرار لها في النهاية.

بانضمام هاري للأسرة أضف لحياتهما بهجة كبيرة جعلت ديانا تنسى كل آلامها الماضية، لتفتح مع زوجها صفحة جديدة في كتاب حياتهما الزوجية، لكن أحياناً ما تأت الرياحُ بما لا تشتهي السفن.
علمت ديانا أن زوجها عاد ليواعد عشيقته كاميليا بشكل يومي، ما أثار غيبتها وعادا للشجار مرة أخرى بعد أن ظنت أن الاستقرار بدأ يعرف طريقه لحياتهما.

شعرت ديانا بأن جداراً عالياً، سميكاً تكون في قلبها حال بينها وبين زوجها، كما شعرت بانهيار زواجهما تماماً في تلك اللحظة.
انتكست وعادت إليها البوليميا أسوأ من ذي قبل، كانت تتقيأ بشكل يومي.

حين رأتها حماتها على هذا الحال قالت لها:

- ديانا، يجب أن تعلمي أن البوليميا هي سبب انهيار زواجك أنتِ وتشارلز.

- ماذا تقولين جلالة الملكة؟ أنتِ تخالفين الحقيقة تماماً، البوليميا ليست هي سبب انهيار زواجنا كما تدعين، بل هي عرض من أعراض

زواجنا التعس أنا وابنك، لماذا تحمليني أنا مسؤولية فشل زواجنا! ليس من العدل أن تلصقي التهمة بمرضي الذي هو أصلاً أصابني بسبب ابنك وما يفعله بي.

- أنتِ من تسببين المتاعب لنفسك ولنا جميعاً، ماذا كنتِ تتوقعين؟ أن يترك تشارلز مهامه كأمير ويلز ويجلس بجوارك لا يفعل شيئاً سوى أن يدللك؟

- تعلمين أن ليس هذا هو هديني بالطبع، لكني فقط كنتُ أريده أميناً معي، يحبني كما أحبه، يهتم بي، لا يتركني لاهناً وراء امرأةٍ أخرى.

- صه، لا تتفوهي بمثل هذا الكلام، لا يجب أن يسمعك أحد، فالقصر مليء بموظفيه وعاملية، ولا يصح أن يصل إلى مسامعهم مثل هذه الفضائح.

- هذا كل ما يهيك؟ ألا تصل هذه الفضائح إلى الناس؟ ثم من يفعل هذه الفضائح؟ أليس ابنك؟ منذ دخولي هذا القصر وأنا أشعر كأنني دخلت سجنًا بشعاً، لا أحد يشعر بي ولا أحد يهتم لأمرني، كل ما يهكم هو صورتكم الجميلة أمام الناس، أما مشاعري واحتياجاتي ليس لها مكان عنديكم.

- ليس لدي وقتٌ لأضيعه معكِ في مثل هذه التفاهات، أنتِ فعلاً كما يقول تشارلز، فتاةٌ مدللة، تريدي أن تكوني أنتِ محور الكرة الأرضية، والكون كله يدور في فلكك، اذهبي اشغلي نفسك بأي شيء مفيد، اهتمي بوليام وهاري ودعينا نحن لمهامنا وكفالكِ هُراءاً وعبثاً.

استشاطت ديانا غضباً، ذهبت منفعلة إلى مكتب تشارلز، وجدته جالساً على مكتبه وأمامه أوراق يقرأها ممسكاً بيده قلماً يضع به امضاءه أسفل كل ورقة بعد قراءتها.

- ماذا قلتَ لأُمك عني؟ أتقول لها بأنني فتاةٌ مدللةٌ؟ ألا يكفيك ما تفعله بي؟ ألا تكفي خيانتك لي، الأجدربك أن تهتم بزوجتك وولديك أيها الزوج المخلص.
- أنتِ لستِ فقط مملة بل مجنونة أيضاً، لن اناقشك في شيء ولا حتى أسمعك بعد الآن.
- يتركها لهم بالخروج من المكتب، فتتناول قاطع المظروفات من على مكتبه وتخدش به رقبتها وصدرها وفخذها، نظر إليها تشارلز في لا مبالاة، وتركها وخرج من مكتبه كأن شيئاً لم يكن، صرخت غاضبةً، وضربت بكفها سطح المكتب، سمعتها ويندي مربية المنزل فدخلت إليها مسرعةً.
- ماذا بكِ سمو الاميرة؟
- هاها ما رأته من الدماء التي تنهمر من رقبتها وصدرها وفخذها، فضربت صدرها فزعة:
- اوه يا الهي، ما هذه الدماء؟ إنكِ تنزفين.
- هرولت مسرعةً إلى الحمام لتحضر لها أدوات طبية من الصيدلية الصغيرة لإسعافها.
- أحضرت قطناً، وشاشاً، ومطهرراً للجروح، وبدأت في تطييب جراحها، لكن جراحها الداخلية من يمكنه تطييبها؟! بكت ديانا بحرقة وارتمت في صدر ويندي، احتضنتها ويندي بدورها، وربتت على ظهرها.
- اهدأي سمو الاميرة، كل شيء سيكون على ما يرام.
- حاولت ويندي تعزيتها والتخفيف عنها بكلمات طبية، فهي تعرف ما تقاسيه ديانا في هذا القصر، فكل شيء يحدث باستمرار أمام عينها،

- ولا يُخفى عن العاملين بالقصر ما يحدث يومياً من خلافات مع زوجها تارةً، ومع حمايتها تارةً أخرى.
- تعالي معي سمو الأميرة، استندي على ذراعي كي أوصلك إلى سريرك لتستريحى .. قالت ويندى.
- أسندتها حتى سريرها بغرفتها وغطتها بأغطية السرير، وتركتها لتستريح.
- اغلقي الضوء من فضلك ويندين علي أستطيع أن أغفو قليلاً، أشعر بأني متعبة جداً.
- حاضر سمو الأميرة
- أطفأت الضوء وخرجت وأغلقت باب الغرفة .

تفوقعت ديانا على نفسها في سريرها، متحاشيةً جروحها حتى لا تؤلمها، كافحت كثيراً حتى أمكنها أخيراً الغفو.

في اليوم التالي جاءت شقيقتهما "جين" لزيارتها، وقد لاحظت شحوب وجهها، والجرح برقبتهما، فسألتهما:

- ماذا بكِ ديانا؟ يبدو أنكِ لستِ بخير، وما هذا الجرح برقبتهك؟
- لا شيء.
- اجيبي ديانا، أنا أختك وأريد الاطمئنان عليكِ، أرجوكِ لا تخفي عني شيئاً، هل هذا الجرح بسبب تشارلز؟
- قلتُ لكِ لا شيء، ولا أريد أن أتحدث في هذا الموضوع.
- ديانا، لا يمكنكِ السكوت عن هذا...

قاطعتهما ديانا قائلة:

- أظن أنني طيلة خمس سنوات منذ زواجي لم أزعج أحداً منكم بمشاكلي، فمن فضلك لا تتدخل بيحياتي، ودعيني أتصرف بنفسني في حل مشاكلي.

غضبت "جين" من ردة فعل شقيقتها العنيفة وتركتها قائلة:

- أنت حرة في حياتك، إفعلي ما يحلو لك، أنا مخطئة أنني حاولت مساعدتك.

خرجت "جين" غاضبةً، لم تسمح ديانا لها يوماً بالتدخل في شؤونها الخاصة، فبطبيعة علاقتها كانت علاقة سطحية وغير متينة، لم تكونا مثل باقي الشقيقات اللاتي يجلسن في غرفتهما يتبادلان أطراف الحديث، والنكات، واستحضار سيرة تلك وذاك، فالتحاق "جين" بمدرسة داخلية، جعل العلاقة بينها وبين شقيقتها فاترة والتواصل بينهما شبه منقطع.

مرت الأيام والشهور وجاء موعد التحاق وليام بالمدرسة، فقد أتم ستة أعوام.

أراد والده أن يلحقه بمدرسة داخلية مثلما هو الحال لأبناء الأمراء والملوك، لكن ديانا رفضت وأصررت على إلحاقه بمدرسة عادية.

في أول يوم دراسي لوليام، أخذته ديانا من يده لتوصله بنفسها إلى مدرسته.

- هيا وليام حبيبي، لا نريد ان نتأخر على المدرسة.
- مامي أنا سعيد جداً أنك ستذهبي معي إلى المدرسة.
- وأنا أيضاً سعيدة بأنني سأوصلك إلى مدرستك بنفسني حبيبي، ألا تدري كم أحبك وليام؟

- بلى يا أمي أعلم، وأنا أيضاً أحبك كثيراً.

تحتضنه في حنان، هيا كي أتمكن من عودتي بسرعة بعد توصيلك قبل أن يستيقظ أخيك، لو نهض من نومه ولم يجدني بالقصر سيفزع كما تعلم.
- هيا يا أمي.

أمسكت يده الصغيرة بيدها وخرجت معه، سارا في طريقهما للمدرسة مترجلين، ظلت تحكي له عن المدرسة وجمالها، وكيف أنه سيتعلم أشياء كثيرة ورائعة تفيده في حياته، كانت تحاول بطريقتها اللطيفة الذكية طمأنته، وجعله يحب مدرسته قبل أن يلتحق بها.

لطالما أرادت ديانا لطفليها أن يعيشا حياةً هادئةً خلافاً لحياة أبناء الأمراء الصاخبة الخالية من الخصوصية، أرادت لهما أن يتحررا من القواعد الصارمة، والقيود الخانقة التي هي نفسها تعاني منها منذ إنضمامها للعائلة المالكة، كثيراً ما كانت تقضي معهما أوقاتاً مريحة، كانت ترافقهما في عطلات نهاية الأسبوع في أماكن ترفيهية متنوعة، كمناطق التزلج على الجليد، وماكدونالدز، وأكوا بارك، وغيرها، كما كانت تصطحبهما في جولاتها في الأعمال الخيرية التي أصبحت من أهم إهتماماتها فيما بعد، كالمستوصفات، وملاجئ الأيتام، والمستشفيات.

كانت حريصة على قضاء أطول وقت ممكن مع طفليها.

(١١)

مواجهة وانتصار

في الثامن من مارس لعام ١٩٨٦ م، دُعي تشارلز من قبل صديقه كاميليا إلى حفل عيد ميلاد شقيقتها، فطلبت ديانا منه أن يصطحبها معه للحفل، اندهش تشارلز من طلبها الغريب..

- لماذا تريدان الذهاب معي لهذا الحفل، أعلم أنك وكاميليا غير متفتحين، ولا أظن بأنك ستشعرين بالراحة بتواجدك معها في مكان واحد.
- وهذا بالتحديد ما أريد الذهاب إلى الحفل من أجله.
- ماذا تقصدين؟
- أقصد أنني فكرت في أن أزيل جبل الثلج المتكون بيني وبينها منذ زواجنا، وأرى أن مناسبة كهذه هي أفضل وقت لفعل هذا.. أليس كذلك؟

لم يبدو على تشارلز الاقتناع بما قالتة.

- أعلم أنك قلق من اصطحابي معك للحفل وهذا طبيعي، لكن لا تقلق عزيزي فلن أتسبب لك في أي نوع من الحرج.. أعدك بذلك.
 - حسنٌ، ولو أنني أفضل عدم ذهابك معي، لكن استعدي على أية حال لنذهب سوياً، موعد الحفل في تمام الساعة مساءً.
 - حسنٌ حبيبي، سأكون جاهزة في الموعد.
- خرج تشارلز من غرفة المكتب، هاتف كاميليا..

- ألو كامبلا، اسمعيني جيداً، أريد أن أخبرك بشيء هام، شيء يبدو غريباً، ديانا طلبت مني اصطحابها معي للحفل، حاولت اثناءها عن ذلك لكنها مصرة.
- نعم هذا ما حدث، وأنا تفاجأت مثلك تماماً، لا أدري ما يدور برأسها، لكني أردت فقط أن أخبرك حتى لا تتفاجأي بوجودها معي.

دقت ساعة الحائط بالقصر في تمام الساعة، معلنةً عن بدء موعد الحفل. تشارلز في غرفته، واقفاً أمام مرآته، وقد أنهى ارتداء ملابسه، حيث ارتدى بزة سوداء اللون، وقميصاً أبيضاً، ورابطة عنق باللونين الأبيض والأسود، وهاهو يضع لمساته الأخيرة، تناول زجاجة عطره، ضغط على فوهتها وضغطين على ثيابه، وأخرتين على كلتا يديه، طارت رائحة العطر في الهواء حتى وصلت إلى أنف ديانا بغرفتها، التي كانت هي الأخرى قد أنهت ارتداء ثيابها للتو، سارت مع العطر حتى وصلت إلى صدره.

كانت أنيقة جداً هذه الليلة، كانت ترتدي فستاناً طويلاً من اللون الأخضر الداكن، ذو أكمام قصيرة من الشيفون الأفطح قليلاً من لون الفستان، كانت تضع قليلاً من مساحيق التجميل على وجهها، ما زاد جمالها الطبيعي رقةً وجمالاً، كما ارتدت حذاءً فضياً لامعاً بلون حقيبة يدها الرقيقة، أما شعرها فرفعته قليلاً واضعةً به رابطة شعر من الساتان الأخضر اللامع على شكل وردة. وفي وسطها قطعة كريستال صغيرة، حين رآها تشارلز أمامه لم يتمكن من إخفاء إعجابه برونقها، والذي نطق بشكل تلقائي كلمة واحدة فقط قالت كل شيء .. والواو.

ضحكت ديانا في خجل حين رأت الاعجاب يطل من عيني زوجها، أدركت حينها أنها نجحت في الخطوة الأولى، وهي إبهار زوجها، كانت قد قررت في قرارة نفسها أن تضعه أمام مقارنة حية بينها وبين كامبلا، كانت تعرف أنها تفوقها

جمالاً وسحراً، وهو كان يعرف أنها محط إعجاب كل الرجال، ومع ذلك لم تتحرك مشاعره ناحيتها يوماً، وكأنه لا يراها!

لازالت تتعلق بالأمل، فلعل الخطوة التالية يمكنها أن تكمل ما حققته الخطوة الأولى، تأبطت ذراعه وسارت معه وكأنهما في ليلة عرسهما، هبطت معه على درجات السلم وسط ذهول العاملين بالقصر، فلم يعتاد أحدٌ منهم على رؤيتهما بهذا الانسجام من قبل.

توجهها إلى باب القصر حيث كان بانتظارهما السائق بالسيارة، فتح تشارلز لديانا باب السيارة الخلفي ناحية اليسار، أركبها وأغلق الباب خلفها، واستدار هو ناحية الباب الآخر من الجهة اليمنى، وكان السائق قد نزل من السيارة، فتح له الباب، ركب تشارلز، وأغلق السائق الباب خلفه، ثم عاد السائق إلى مكانه في المقعد الأمامي استعداداً للقيادة، انطلق السائق بالسيارة متوجهاً إلى مكان الحفل.

طيلة الطريق حاول تشارلز أن يعرف من ديانا سبب إصرارها على الذهاب معه للحفل، ظل يلح عليها في سؤاله عليها تجيبه، ولكن دون جدوى. كانت دقائق قلب ديانا تتسارع بين ضلوعها مع تسارع عداد السرعة بالسيارة كلما اقتربت المسافة إلى بيت كامبلا، وكأنها ذاهبة لاختبار صعب، لكنها تصر على اجتيازه مهما كانت العواقب، وبرغم من ذلك تظاهرت بالتماسك والقوة أمام زوجها الذي كان يجلس بجوارها في السيارة متعجباً لما يحدث، ولا يدري كيف ستمضي هذه الليلة بين زوجته وصديقتها.

وصلا أخيراً إلى مكان الحفل، نزل تشارلز وديانا من السيارة، فسارعت ديانا بتأبط ذراع تشارلز، وهذه هي الخطوة الثانية في خطتها الليلية، أن تُري الجميع وأولهم كامبلا أنها هي الأحق به منها.

ما إن وصلا إلى باب البيت، فتحت لهما كاميليا، فبادرت ديانا بمصافحتها باليد على عكس ما اعتادت فعله معها من قبل وهو مجرد التحية من بعيد دون مصافحة.

لم تكن مصافحة ديانا لكاميليا بالخطوة السهلة بالنسبة لها، فقد استغرقت تلك الخطوة وقتاً ومجهوداً من التدريب والتهيأة النفسية الكبيرة، كانت تستعد لهذه المواجهة وكأنها تهيأ للعب جولة لرياضة الجودو، التي من أهم قواعدها وأولها هي مصافحة الخصم قبل بداية الجولة، اعتبرت أن هذه المواجهة هي الجولة المصيرية التي لا بد وأن تخوضها وإن كانت لاتعرف السبب، لكن كل ما تعرفه أنها يجب أن تفوز على اية حال، لذا كانت تشحن نفسها بكل أسلحتها، قررت ألا تخرج من هذه المباراة مهزومة أبداً.

كان المكان مزيناً بالبالونات، وزينة أعياد الميلاد ورائحة الكعك الشبيهة تنتشر في المكان، كان الجميع في الطابق العلوي، بدأ الحفل بموسيقى صاخبة، تشارك الجميع بالرقص وكذلك ديانا وتشارلز وكاميليا وشقيقتها، انتهت الموسيقى الصاخبة وتلتها موسيقى رومانسية هادئة، دعت ديانا تشارلز لمشاركتها هذه الرقصة، رغم اندهاش تشارلز من تصرفاتها هذه الليلة إلا أنه وافقها وتقدم للرقص معها، وتابعهما بعد ذلك كل ثنائي في الحفل، زوجين كانا أم حبيبين.

انتهت الرقصة بتصفيق كل الحضور، انهمكت ديانا بعدها بالثرثرة مع مجموعة من السيدات والرجال حتى انتهت فجأة إلى إختفاء تشارلز وكاميليا، جالت بنظرها في أرجاء المكان فلم تراهما، قررت أن تهبط لتبحث عنهما في الطابق الأرضي، عندما علم مجموعة الأصدقاء الذين كانت تقف معهم ما تنوي فعله حاولوا منعها خشيةً أن تحدث مشكلة

لكنها أصرت على الهبوط، هبطت إلى الطابق الأرضي فوجدت تشارلز وكاميلاً واقفين منسجمين في الثرثرة والضحك وكأنهما وحدهما في الحفل. انضمت ديانا إليهما وبدأت في مشاركتهما الحديث وكأنها صديقة ثالثة لهما، بعد بضعة دقائق طلبت ديانا من كاميلاً الحديث معها على انفراد.

- كاميلاً، أريد محادثتك على انفراد إذا أمكن من فضلك.
- ظهر على وجه كاميلاً وتشارلز عدم الارتياح، لكن كاميلاً أجابت ..
- أوه، نعم، بكل سرور.
- أشكرك.

وجهت ديانا حديثها إلى تشارلز قائلةً:

- من فضلك تشارلز اتركنا أنا وكاميلاً بمفردنا، سأحدث معها حديثاً سريعاً، وسأصعد إلى الطابق الثاني على الفور.

انسحب تشارلز دون أن يعلق ناظراً إلى ديانا نظرات حيرة وقلق متوجهاً للطابق الأعلى، حين صعد إلى هناك وفتح الباب، شعرت ديانا كأن باب الجحيم هو الذي فُتح، لأنها تعلم أن الجميع ينتظر خلف هذا الباب يرقبون ما سيحدث.

- كاميلاً، أيمكنك أن تجلسي من فضلك؟
- جلست كاميلاً دون أن تنبس ببنت شفه، وجلست ديانا بمقربة منها.
- كاميلاً، أريدك أن تعلّمي أنني أدري ما يحدث بالضبط.
- لا أدري عن ماذا تتحدثين.
- لا أنتِ تعلمين قصدي وتفهمينه جيداً، ومع ذلك سأقولها لك صراحةً، أنا أعلم ما بينك وبين تشارلز.

تغير وجه كامبلا، وصمتت لبرهة ثم اجابتها:

- أنتِ حصلتِ على كل ما أردتِ، أصبحتِ أميرة ويلز، ولديكِ طفلان جميلان، وكل رجال العالم مغرمون بكِ، ماذا تريدين أكثر من ذلك؟! اندهشت ديانا من ردها الوقح، وأجابتها على الفوز:
- أريد زوجي، أريد زوجي كامبلا، وآسفة طبعاً أنني أعترض طريقك أنتِ وتشارلز، لكنني أردتُ فقط أن أعرفكِ أنني أعلم كل شيء، فلا تعامليني كالحمقاء المغفلة، لأنني لستُ كذلك.

نظرت إليها كامبلا بامتعاض غير مصدقةٍ ما يحدث، ولم تتمكن من إجابتها هذه المرة فلزمت الصمت.

هنا أطلق الحكم صفارته اعلاناً لإنهاء المباراة بفوز ديانا على غريمته (١-٠) نهضت ديانا من على الأريكة ناهيةً الحديث.

- انتهى الحديث، أشكرك على وقتك الثمين، وأشكرك أيضاً على حفلتك الرائعة، تركتها وعادت إلى الطابق العلوي، وطلبت من تشارلز الانصراف، فهبط معها إلى الطابق السفلي، نظر فرأى كامبلا جالسة، وعلامات الغضب واضحة على وجهها، فلم يجرواً على سؤالها عما حدث بينها وبين زوجته.

هنا شقيقة كامبلا بعيد ميلادها، واستأذنها هي وكامبلا بالانصراف، تأبطت ديانا ذراع زوجها مرة أخرى، وقبل مغادرتها المكان رمقت كامبلا بنظرة أخيرة بها نشوة الانتصار، خرجت من ساحة المباراة رافعةً هامتها حتى باب السيارة.

في الطريق حاول تشارلز معرفة ما دار بينهما من حديث، إلا أنه لم تأته إجابة شافية، كل ما كانت تقوله له ديانا:

- لا شيء عزيزي، مجرد حديثاً عادياً بين امرأتين تتنافسان على رَجُلٍ واحد، تعتقد كيف يكون مسار الحديث؟
وبخها تشارلز بشدة قائلاً:

لهذا أصريتِ على الذهاب معي للحفل، كل ما كنتِ تريديه هو افتعال مشكلة، أنتِ دائماً جالبة للمشاكل.
بكت ديانا بحرقه، شعرت بغضب حبيس ستة أعوام، بكت كما لم تبكي من قبل.

- وأنتِ دائماً تهمني بما ليس فيّ، أنا لستُ جالبة للمشاكل تشارلز، أنا فقط أثار لكرامتي، أردت أن أوصل رسالة لعشيقتك أنني أفهم ما يدور بينكما، إن كنتُ لم أستطع أن أكسب حبك، فعلى الأقل لن أسمح لك بإهدار كرامتي.

عندما وصلا إلى القصر، صعدت بسرعة إلى غرفتها، بدلت ثيابها بعصبية، أوت إلى فراشها محاولةً النوم، لكن دون فائدة، ظلت تتقلب في فراشها طيلة الليل، فقد جفاها النوم تماماً وكأنه يثار لكاميلاً منها، ظلت على هذا الحال حتى الساعة السادسة صباحاً، ها قد أشفق عليها النوم أخيراً، أغلقت جفنها وغطت في نوم عميق، أفاقت بعدها بساعتين، نهضت من على فراشها، استيقظت في هذا اليوم بشعور مختلف، شعرت بطاقة هائلة تملؤها، لقد فعلت شيئاً أخيراً، عبرت عما كانت تعانيه سنيماً طويلة وحدها، خلعت عنها رداء الغيرة، ولبست ثوب الثقة.

(١٢)

نقطة تحول

في شهر مايو، سافرت ديانا وتشارلز إلى كولومبيا البريطانية، وتحديداً إلى ولاية فيكتوريا، كانا في جولة في معرض عالمي للفنون التشكيلية، وفجأة وأثناء سيرهما بالمعرض شعرت ديانا بإعياءٍ شديد، فقد امتنعت عن الطعام مدة أربعة أيام خوفاً من البوليميا، بيد أنهما مشيا على أقدامهما هي وتشارلز ساعاتٍ طويلة ذلك اليوم.

- تشارلز، أنا متعبةٌ جداً.
- تحملي ديانا، فالجولة أوشكت على الانتهاء.
- أشعر أنني سأختفي.
- لم يلتفت تشارلز لشكوى ديانا، وتظاهر بالانشغال مع الصحافيين ومسئولي المعرض، وإذ فجأة سقطت ديانا على الأرض فاقدةً الوعي.
- ياللهول.. قالها أحد الصحافيين .
- حملوها وأجلسوها على مقعد، وقاموا بإفافتها.
- حمداً لله على سلامتك سمو الأميرة.
- أشكركم جزيلاً، انا أسفة لما حدث.
- لا عليكِ، يجب أن تستريحي في الغرفة المخصصة للنوم بقاعة كبار الزوار، يبدو عليكِ الإعياء.
- ساعدها تشارلز وبعض الفتيات بإسنادها حتى باب الغرفة.
- فلتفضلن إلى أعمالكن وسأظل أنا معها حتى تصبح أفضل، أشكركم جميعاً.. قال تشارلز.

- انصرفن الفتيات، أغلق تشارلز باب الغرفة، وما إن تأكد بأنهما بمفردهما حتى بدأ في توبيخها .
- كان يمكنك أن تفقدي الوعي في مكانٍ آخر مهدوء.
 - ماذا؟ أتظن انني اتظاهر بالإعياء؟ معقول تشارلز! ألهذا الحد أنت لا تشعريني؟ صارلي أربعة أيام لا أقرب الطعام حتى أتجنب البوليميا ولا أتسبب لك في حرج، وفي النهاية تهمني بالتظاهر؟ أنا لا اصدق .. بكت ديانا .. ماذا أفعل لك كي تصدقني وتشعربي؟
 - كفاك تمثيل دور الضحية، دور الزوجة المضحية هذا لم يعد يليق بك، دموعك الذائفة لم يعد لها أية تاثيرعليّ.
 - ومتى تأثرت بدموعي أو شعرت يوماً بمعاناتي؟ اتركني من فضلك لأستريح.
 - لا يمكنني تركك، لا يمكنني العودة إلى المعرض بمفردي، لو فعلت سيظن الناس أن مكروهاً أصابك، وتحدث دراما نحن في غنى عنها.
 - أه فهمت .. قالت ديانا مجففةً دموعها .. سأبدل ثيابي وآت معك، أنا أيضاً لا أريد أن يظن الناس أن مكروهاً أصابني، ديانا القوية ترفض أن تثيرشفقة أحد.
 - حسنٌ أيتها القوية .. أجاها تشارلز هاذناً .. سأنتظرك بالخارج حتى تبديلي ثيابك، لا تتأخري.
- خرج وأغلق الباب خلفه، نهضت ديانا من على فراشها، نظرت إلى نفسها في المرآة، حدثت نفسها بتحديد ..
- لن أبكي بعد اليوم، ديانا القديمة ماتت وولدت عوضاً عنها ديانا جديدة أكثرقوةً، أكثرإحتمالاً، بل وأكثروعياً.

بدلت ثيابها في دقائق معدودة، وخرجت لتشارلز عائدين إلى المعرض لاستكمال جولتهما.

في اليوم التالي تحركا من ولاية فيكتوريا متجهين إلى طوكيو باليابان، استقبلها الناس بحفاوة بالغة وكأنهم لا يرون تشارلز معها، ظلوا يهتفون باسمها وحدها دونه، لم يعد يندesh تشارلز من هُتاف الناس باسمها، فقد اعتاد على ذلك من كثرة تكرار حدوثه في رحلاتهما سوياً.

بعد إنهاء مهمتهما في طوكيو وقبل عودتهما إلى بريطانيا، طلبت ديانا من تشارلز أن يتركها في اسكتلاندا لأنها بحاجة للاستجمام والابتعاد عن القصر قليلاً على أن يرسل لها وليام وهاري فور وصوله إلى ويلز لتمضية الصيف معها في اسكتلاندا، استجاب تشارلز لطلبها وسافر عائداً بمفرده إلى بريطانيا. في الواقع كانت ديانا تريد الابتعاد عن تشارلز تحديداً، كانت تريد أن تنفرد بنفسها وبطفليها، إعتبرت نفسها في رحلة علاجية، عسى لهذه الرحلة مساعدتها على شفاءها من مرض عضال أصاب قلبها اسمه الخِذلان.

وفي اليوم التالي أرسل لها الولدان في طائرة خاصة.

- مامي أفتقدك كثيراً .. قالها هاري محتضناً أمه فور وصوله هو وشقيقه.

- وأنا أفتقدتك كثيراً تلك الأيام أنت وأخيك حبيبي.

- وأنا أيضاً مامي، كيف حالك؟ .. سألتها وليام.

- بخير حبيبي، وأنتما كيف حالكما؟

- بخير، قد أنهينا للتو اختبارات نهاية العام أنا وهاري.

- أعلم حبيبي، لكن أخبرني كيف كانت الاختبارات؟

- كانت رائعة، سأحصل على الدرجات النهائية .

- ممتاز، أنا كلي ثقة في ذكاءك وقدراتك العلمية .. قبلته في وجنته.

- وأنت هاري؟
- كل الاختبارات كانت سهلة جداً، وأنا أيضاً سأحصل على الدرجات النهائية، أعدك مامي.
- رائع حبيبي .. قبلته أيضاً .
- تعالاً لتستريحا من عناء السفر.
- لا نريد أن نستريح مامي، نريد فقط أن نذهب إلى الشاطيء، بابي أخبرنا أننا سنمضي الصيف معك هنا، وسنذهب إلى الشاطيء كل يوم.. قال وليام.
- لكنكما متعبان من السفر، استريحا اليوم ولنبدأ من الغد، فالصيف طويل والأيام أمامنا.
- نريد الذهاب إلى الشاطيء الآن، من فضلك مامي .. قال هاري.
- حسنٌ حسنٌ، لكن اعطوني دقائق قليلة أقوم بتجهيز صندوق الطعام وملابس البحر.
- حسنٌ مامي، هيا لنساعدك.
- هيا بنا.

بعد حوالي نصف ساعة قد انتهوا ثلاثتهم من إعداد الطعام الذي سيأخذونه معهم في رحلتهم للشاطيء، وكذلك ملابس البحر، وكل ما سيتحتاجونه هناك، ثم توجهوا إلى الشاطيء.

جلست ديانا على الشاطيء قبالة طفلها اللذان كانت ضحكتهما تملأ قلبها قبل أذنيها، كانت تشاهدهما بحب، تبادلتهما الضحكات والبسمات. فجأة شردت ببصرها بعيداً حتى الجانب الآخر من الشاطيء، حدثت نفسها قائلةً..

- ديانا، يجب عليك أن تكوني مسؤولة، يجب أن تتفهمي أنه ليس باستطاعتك فعل ما يمكن لبنات جيلك في سن السادسة والعشرين فعله، أنتِ مختلفةٌ عنهن، أنتِ تحملين على عاتقك مسؤولية دولة كبيرة في حجم دولة بريطانيا العظمى، يجب أن تعي ذلك ولا تستهيني به، أنتِ من اخترتِ هذا المنصب، فلا تتمردى عليه ولا تقاوميه.

مرت الأيام وانقضى الصيف وهي لازالت في اسكتلندا هي وابنتها، في هذا الوقت بدأت الشائعات تنتشر في لندن وخارجها بانفصال ديانا وتشارلز بسبب ابتعاد ديانا عنه كل هذه الفترة الزمنية الطويلة، ما أزعج ديانا وسبب لها ضيق، ولكن ما أزعجها بالأكثر هو ملاحقة الصحافيين لها هي وطفليها في كل مكان، ما جعلها تسرع بمهاتفة زوجها تطلب منه أن يحضر إلى اسكتلندا ليصطحبها هي وطفليهما عائداً بهم إلى لندن لردء الشائعات، استجاب تشارلز لطلبها، وسافر إليهم وأحضرهم معه عاندين جميعاً إلى لندن، وبينما كانوا على متن الطائرة، جلسا ديانا وتشارلز متجاورين، بكت ديانا.

- ماذا مجدداً؟ .. سألهما تشارلز في ضيق.
- الصحافيين لا يكفوا عن مطاردتي في كل مكان، وشائعة انفصالنا تملأ الجرائد والصحف.
- لوبقيتِ في مكانك ما حدث شيء من كل ذلك.
- كيف هذا؟ الشائعات إنتشرت بسبب ابتعادي عنك وعن القصر كل تلك الفترة، ثم ماذا؟ أكنتَ تريدني أن أبقى في اسكتلندا أكثر من ذلك؟ صار لي أكثر من ثلاثة أشهر بعيدة عنك أنا والولدان، ألم تشتاقنا! أم أنك ارتحت لغيابي؟ عموماً أنا لم أطلب عودتي من أجلك كما تظن، لكن لأنني لديّ أعمالاً عليّ إنجازها، وأنا اخترت أن أعود لعملي لأن هذا هو دوري في الحياة.

- لا تتدمري إذن، وكُفِّ عن الشكوى أيتها الشخصية الهامة.
- حسنٌ .. ردت بتحدٍ .. لن أزعجك بشكواي وتدمري بعد الآن.

ساد الصمت بينهما طيلة الوقت المتبقي، ظلت خلالها ديانا ناظرةً إلى الفضاء عبر نافذة الطائرة، تأملت السحب التي تحيط بها، تخيلت نفسها طائر بجناحين كبيرين تحلق بهما عالياً في السماء، شعرت أن هذا الفضاء هو الذي يناسبها بعيداً عن سكان الأرض وخاصة سكان قصر "ويندسور" الذين يشعرونها دائماً أنها مخلوق مختلف عنهم وكأنها آتية من كوكب آخر غير كوكب الأرض.

فكرت في جدول أعمالها الفترة المقبلة، كيف ستكون بدايته؟ وكيف سيجري العمل؟.

- عليّ أن أكمل مشواري في العمل الخيري، هذا هو الشيء الثاني بعد أمومتي الذي يشعرنى بأهمية وجودي في الحياة، لذا لن أسمح لأحدٍ بإيقافي أو تعطيلي عن مهمتي السامية، أولى خُططي في المرحلة القادمة ستكون زيارتي لمرضى الإيدز، لن ألتفت إلى تحذيرات الملكة اليزابيث بالابتعاد عن هؤلاء المرضى المساكين، فلتقل ما تشاء ولأعمل ما أشاء.. فكرت ديانا.

أعلنت ديانا فور وصولها لندن عبر شاشات التلفزيون والصحف عن استعدادها لزيارة مشفى "ميدلسكس" حيث أنه قد تم افتتاح جناح جديد بها خاص بمرضى الإيدز.

الجميع منتظر زيارة الأميرة ديانا المثيرة للجدل، الجميع يتساءل، كيف ستتعامل مع المرضى؟ بالتأكيد سترتدي قفازين عند مصافحتها للأطباء، ماذا عن الكمامة على الأنف؟ هل ستضعها أم لا؟

جاءت زيارة الأميرة ديانا على عكس كل التكهينات الإعلامية والصحافية، حيث دخلت المشفى بدون كمامة للأنف ولا قفازات بيديها، وصافحت كل الأطباء والممرضات وجميع العاملين بالمشفى، بل والأدهش من ذلك أنها صافحت أيضاً المرضى أنفسهم!

ما أثار دهشة الجميع، كما أنها طلبت الدخول إلى غرف المرضى وإصرارها على ذلك، وما إن أدخلوها حتى بادرت بمصافحتهم جميعاً. في غرفة أحد المرضى، بعد مصافحته نظرت بابتسامة حنونة في عينيه، فوجدته يبتسم لها في استعطف وامتنان في ذات الوقت.

- ماذا لو عانقتُ هذا الرجل المسكين؟ هيا ديانا افعلها .. حدثت نفسها.

لم تتردد ديانا ولم تفكر كثيراً، أسرعت بمعانقة الرجل وسط اندهاش كل الحضور من أطباء ومرضى وإعلاميين، بكى الرجل بشدة ثم ابتسم مبتهجاً غير مصدقاً هذا الكم من الحنان والحب اللذان تتمتع بهما هذه المرأة.

شكراً أميرة ديانا، أنتِ انसानه رائعه، أحبك جداً.. قالها لها ذاك الرجل الذي عانقته للتو.

- ألم تخشِ معانقة ذاك الرجل أميرة ديانا؟ سألتها صحافي فور انتهاء زيارتها لمرضى الإيدز.

- دعني أفضي لك سرّاً، لطالما أردتُ معانقة كل المرضى بالأسرة بالمشفى.

بعد أنتهاء جولتها، ألقى كلمة على المنصة قالت فيها..

- "هؤلاء المرضى يحتاجون إلى مساعدتنا جميعاً، يمكن أن يكون داخل كل أسرة من أسرنا أو عائلة من عائلاتنا مريض بالإيدز، هل ننبذه أم نتعاطف معه؟!". وكأنها بذلك التصريح ترد على تحذيرات الملكة اليزابيث لها.

بعد عودتها من تلك الزيارة، تم استدعائها من قبل الملكة اليزابيث في قصر بيكينجهام، توجهت ديانا إلى القصر وقابلت الملكة التي كانت في حالة ثورة واستياء شديدين .

- لماذا تصرين على توريط نفسك في هذا العمل الفظيع؟
- أي عمل تقصدين؟ أتسمين معالجة الناس بالحب بالأمر الفظيع؟
- هؤلاء الناس الذين تتحدثين عنهم مرضى بمرض خطير ومُعَدِّ، كما أن وضعهم شائك، ولهم طرق للمعالجة غير طريقتك الرومانسية تلك، اتركي الأمر للأطباء والمختصين، ألا تقرأين ما تكتبه عنك الصحف جراء زيارتك المشؤومة تلك؟ الصحافيين يصفونك بالمثلية إن كنتِ لا تقرأين، ألم تزعجك تصريحات بعض الصحافيين بأنكِ مثلية؟ أنتِ تعلمين أن هذا المرض مشين، ويصنف كمرض جنسي.
- لا تهمني اية تصريحات، كل ما يهمني هو إسعاد الناس ومساعدتهم على تخطي محنتهم طالما باستطاعتي فعل ذلك، ثم أن تلك الصحف التي تتكلمين عنها هي الصحف الصفراء، التي لا يهمها سوى تشويه سمعة الناس، وإفساد كل عمل رائع يقومون به.
- أتسمين اختلاطك بمثل هؤلاء عمل رائع؟ وماذا عن العدوى أيتها الدوقة؟ لو لم تخش على نفسك، فخافي على تشارلز، أو على ابنيك وليام وهاري.

اغتيال

- اطمني جلالة الملكة، العدوى لا تنتقل بمجرد مصافحة المرضى أو معانقتهم، وهذا ما قصدت فعله لأغير للناس مفاهيمهم الخاطئة عن هذا المرض.
- هذه ليست مهمتك، قلتُ لك سابقاً أن هذه مهمة الأطباء والمختصين.
- وأنا قلتُ لكِ بأنني لن أتراجع عن مساعدة هؤلاء المرضى المساكين، هؤلاء يحتاجون إلى مد يد العون لهم لا نبذهم والنفور منهم.
- يبدو أن الحديث معكِ لن يجدي نفعاً.
- بالضبط جلالة الملكة، لا داعي لأن تضيعي وقتك الثمين معي أكثر من ذلك، والآن اسمحي لي بالانصراف.
- انصرفي ديانا، افعلي ما يحلو لكِ، ولكن اعلمي أن أخطائك قد فاقت الحد، عنادك وغرورك ورومانسيك الزائدة في التعاطي مع الأمور العامة ستؤءدي بكِ إلى ما لا يُحمد عقباه.
- أعتبر هذا تهديد جلالة الملكة؟
- اعتبريه كما تشائين، لكن كلامي هذا للتذكير ولفتن الانتباه.
- علم جلالة الملكة، أي تعليمات أخرى؟
- لا
- بعد إذن جلالتك.

- انسحبت ديانا بعد حوالي ٤٥ دقيقة من المناقشة الحامية بينها وبين حماتها، وما تخللته هذه المناقشة من توبيخات وتحذيرات وتهديدات صريحة
- ماذا حدث؟ .. سألهما سائقها الذي كان بانتظارها خارج باب القصر والذي لاحظ على وجهها علامات الضيق والضحجر.
 - تريدني التراجع عن مساعدة مرضى الإيدز.

- وبالطبع أجبته بالرفض.
- طبعاً "بول" لن أتخلى عن قضيتي مهما حدث، بل بالعكس، سأشرك نفسي كاملاً في هذه القضية، لم تزيدني تحذيراتهما سوى إصرارٍ وتحدٍ.
- رغم أنه مرضاً مخجلاً وشديد العدوى؟
- حتى أنت يابول؟ تردد نفس كلامها.
- أنا أخبرك بما يقوله الناس سمو الأميرة.
- الناس يجب عليهم أن يتفهموا طبيعة هذا المرض، وكيفية الوقاية منه، وتوعيتهم بالكيفية التي يجب أن يتعاملوا بها مع الشخص المريض، وهذا ما أقوم به.
- إسمحي لي أن أسجل إعجابي بشجاعتك سمو الأميرة.
- "عليك أن تكون شجاعاً في الخير" هذا هو مبدأي في الحياة بول، أتدري؟ لقد قررت بيع جزءاً كبيراً من فساتيني والتي تقدر بحوالي ثلاثة ملايين جنيه استرليني والتبرع بثمرتها لمعالجة مرضى الايدز ومرضى السرطان أيضاً.
- حقاً؟ يالك من انسانة نبيلة جناب الدوقة.

أصبحت الأعمال الخيرية التي تقوم بها ديانا في الآونة الاخيرة هي نقطة تحول في حياتها، أضافت لكيونوتها بعداً آخر لم تعرفه من قبل، روت أرضها المتشقة التي كادت أن يقتلها العطش بفعل بستانها لم يعرف يوماً كيفية رعاية نبتته التي زرعها بيده .

(١٣)

انتقام مؤجل

كان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الجديد "رونالد ريجان" نجماً سينمائياً سابقاً، وكان يعجبه جداً أسلوب ديانا في الحياة، فقد كان يراها امرأة مملوءة حيوية وجاذبية لم تتمتع بهما سوى نجومات هوليوود الشهيرات.

- اسمحا لي بدعوة سموك وسمو الأميرة ديانا لتشريف حفلي القادم بهذه المناسبة السعيدة (قالها ريجان قاصداً مناسبة توليه الحكم).
- بكل سرور سيادة الرئيس.. قال تشارلز.
- من من نجوم هوليوود تودا رؤيته في الحفل؟
- في الواقع أنا لست متابعاً جيداً للأفلام السينمائية وخاصة العالمية منها، وبالتالي لا أعرف أحداً من النجوم السينمائيين للأسف.
- أنا شخصياً أحب "جون ترافولتا" وأحبته جداً في دوره في فيلمه الأخير "حُتى ليلة السبت" ووددت لو أمكنني مقابلته شخصياً" قالت ديانا.
- أعديك أنني سأدعوه للحفل سمو الأميرة، وأثق تمام الثقة إنه سيلبي دعوتي خاصة بعدما أخبره بطلب سموك لمقابلته وحضوره الحفل.

عندما دخلا ديانا وتشارلز قاعة الاحتفال الكبيرة بالبيت الأبيض جذبت ديانا بطلتها الساحرة كل أنظار الحضور، حيث كانت ترتدي فستاناً مُخملياً أسود اللون طويلاً، عاري الصدر، ذو كتفين رفيعين بدون أكمام، ضيق عند

الخصر، متسعاً من عند الركبة حتى ذيله على الأرض، يزين رقبتهما عقداً من الألباس الأبيض في منتصفه فصاً أسوداً، زادها رونقاً وألقاً.
كان ريجان بانتظارها بصحبة ترافولتا، فور أن لمحها تدخل القاعة هي وزوجها، تقدما ناحيتها بكل ترحيب.

- أنرتِ الحفل بقدمك سمو الأميرة ديانا، مرحباً بكِ.
- أشكرك سيادة الرئيس، الحفل منير بوجودك أنت والسيد ترافولتا.
- العفو سمو الأميرة، سعيدٌ جداً بما أخبرني إياه ريجون بأنكِ طلبتِ حضوري الحفل.. قال ترافولتا.
- أشكرك جداً لتلبية دعوتي سيد ترافولتا، لطالما وددت رؤيتك، أنا معجبة بك وبكل أدوارك السينمائية وخاصةً دورك في فيلمك الأخير.
- هذا من لطفك وكرم أخلاق سموك، هل سمحتِ لي بهذه الرقصة من فضلك؟
- طبعاً بكل سرور.
- أستاذن ترافولتا من تشارلز..
- فلتسمح لي سمو الأمير.
- لا مانع، تفضلاً.

جذبها ترافولتا بلطف من يدها، ووقف بها وسط القاعة انتظاراً لبدء موسيقى "روك أند رول" وما إن انطلقت الموسيقى حتى انطلقا الثنائي في الرقص، وضع ترافولتا يده اليسرى على الجانب الأيمن من خصرها، وأمسك بيده اليمنى يدها اليسرى، كانت ديانا تتحرك بين يدي ترافولتا بخفة مذهلة، بدت كما لو كانت فراشة تتقافز بين الأزهار، كان ترافولتا يقرّبها إليه ثم يطلق يدها تناغماً مع نغمات الموسيقى، كانا ثنائياً جميلاً

أدهش كل الحضور بانسجامهما كأنهما اعتادا الرقص كثيراً سوياً من قبل، مع إنها كانت المرة الأولى للقائهما!

أصبحت رقصة ديانا وتر افولتا حديث الصحافة ووسائل الإعلام، لم يلتفت أحد للكلمة التي ألقاها الرئيس ريجون أو الأمير تشارلز في هذا الحفل، بل أصبح الحديث كله عن ديانا وتر افولتا فقط.

أحب الجمهور الأمريكي والبريطاني بل والعالم كله هذا، وتابعوه باهتمام بالغ، بينما بالطبع لم يعجب ذلك العائلة المالكة المتحفظة، وخاصة الملكة اليزابيث.

- عليكِ التوقف عن التصرف كممثلة ناشئة، ولتتصرفي ولو مرة واحدة في حياتك كأميرة لثاني أكبر دول العالم، ليس علي أن أذكرك بهذا طيلة الوقت.

- في الحقيقة إنني أحرارُ في أمركِ جلالة الملكة، لا يعجبك أي شيء من تصرفاتي، فإذا ماهتمتُ بالعمل الخيري تنتقديني، وإذا ذهبْتُ لحفل رئاسي بصحبة زوجي وتصرفتُ بطبيعتي تنتقديني أيضاً، لا شيء يرضيكِ على الإطلاق.

- ما يرضيني هو أن تفعلي ما يجب عليكِ فعله، لماذا تصرين على مخالفة حياة الأميرات التي اعتاد الناس عليها؟ لماذا تحاولين دائماً إظهار نفسك بأنكِ مختلفة عن الجميع؟

- لأنني هكذا فعلاً، أنا مختلفة عن الجميع، لا أريد لنفسي أن أكون نسخة مقلدة من أحد.

- هذا في حال إذا كنتِ لا تنتمين إلى العائلة المالكة، لكنكِ مادمتِ واحدة من هذه العائلة العريقة فيجب أن تحترمي قواعدها وأصولها، حين اخترتِ زوجة لابني تشارلز، توسمتُ فيكِ زوجة الابن المطيعة والأميرة

المسئولة التي تعرف كيف تتصرف، وماذا تقول، لذلك فضلتكِ أنتِ عن غيركِ من بنات العائلات التي كانت تتمنى لو أنها تصبح في مكانكِ الآن برغم أنهن يتفوقن عليكِ جمالاً وذكاءً وأصلاً ملكياً، لم أكن أدري أنني أجلب لنفسي ولعائلتي المتاعب بهذا الشكل.

- تقصدين الفخ الذي نصبته لي كي أقع فيه.

- فخ؟!!

- نعم فخ، أنتِ أردتِ أن تزوجي ابنكِ لفتاة تصلح للعب دور أميرة ويلز على أكمل وجه، أردتِ أمماً لوريث العرش حتى تضمني استمرار التسلسل الملكي لعائلتكم الموقرة، لم تفكري فيّ ولا حتى في ابنكِ، لم تحاولي شغل بالك بإذا ما كان تشارلز يحبني أم لا، يريدني أم لا، كل ما كان يشغل تفكيركِ هو ولي عهد بريطانيا العظمى، وهاهي النتيجة، نعيش أنا وابنكِ أتعس زوجين على وجه الأرض، والمطلوب مني أن أضحك وأبتسم بملء شفطيّ أمام الكاميرات وأبرع في تمثيل دور الزوجة السعيدة، وحتى إذا فعلت تنهريني وتنتقديني لأنفه الأسباب.

- أنتِ من شاركتِ باللعبة بكامل ارادتكِ، لولا أنكِ وجدتِها فرصة ذهبية لتصبحي أميرة ويلز ما كنتِ وافقتِ على الزواج من تشارلز، والدليل على ذلك أنكِ برغم اكتشافكِ علاقته بكاميلاً منذ فترة خطبتكما إلا أنكِ استمررتِ في تمثيل دور الخطيبة المُحبة التي غفرت لحببها خطيئته وأرادت ان تفتح معه صفحة جديدة بزواجها منه، لكن الحقيقة أنكِ تجاوزتِ عن هذا الخطأ لغرض في نفس ابن يعقوب، أنتِ لستِ بالفتاة البريئة التي تظهر للناس ديانا، أنتِ خبيثة جداً أكثر مما يتصور أحد، تعرفين جيداً كيفية الاستفادة من كل الظروف من حولكِ لتحقيق أهدافكِ ومصالحكِ الشخصية.

- وأنتِ تتقنين فن قلب الحقائق جلالة الملكة، منذ زواجي من تشارلز وأنتِ تصرين على معاملي كقطعة شطرنج تحركينها وتضعينها في المكان الذي تترأيه أنتِ مناسب، لا تعامليني كإنسانة لها مشاعروفكر خاص بها، أنا لستُ كذلك جلالة الملكة، لستُ قطعة شطرنج، عفواً فقد أخطأتِ التقدير، أنا ديانا التي تأبى أن تكون لُعبة في يد أحد، لن أتصرف أو أعيش إلا بالطريقة التي تروقي .
 - هذا آخر ما عندك؟
 - نعم جلالة الملكة، وأرجو أن تتوقفي عن نقدي على كل شاردة وواردة، أنا لم أعد طفلة صغيرة تحتاج توجيه من أحد.
- ثم نهضت لتغادر..

خرجت ديانا من مكتب الملكة تاركةً إياها والدم يغلي في عروقها. تعاملت الملكة اليزابيث مع جميع أنواع البشر والأحداث، تعاملت مع الخارجين عن القانون والمشردين، تحملت وقع خبر موت شقيقتهما في سن صغير، وخبر موت أبيها أيضاً، لكنها في الواقع لم تنجح في التعامل مع شخصية كشخصية ديانا ، تلك المرأة العنيدة التي لا تكثر لتعليماتها، والتي دائماً ما تصر على الخروج عن طوعها وعن قواعد العائلة الملكية. في هذه الأثناء عاد تشارلز لعشيقته كاميلا بعد أن كانا قد افترقا مدة عامين تقريباً، علمت ديانا بذلك، لكن لم يكن الأمر قد وصل إلى مسامع الصحافة، فكرت الملكة في استدعاء ديانا، وطلبت منها التكتم على الخبر خشيةً من انتقامها من تشارلز بإيصال الخبر للصحافيين وافتضاح أمره، وافقت ديانا على طلب الملكة شريطة أن تتركها لممارسة أعمالها الخيرية بالطريقة التي تناسبها دون تدخل منها.

في الواقع وقت ديانا بوعدها للملكة ظاهرياً فقط، لأن ما فكرت فيه ديانا كان أكبر من مجرد نقل فضيحة زوجها للصحافة، كانت تفكر في انتقام أشد وطأة وأكثر تأثيراً.

طلبت ديانا من كاتباً صحافياً يدعى "أندرو مورتن" أن يكتب كتاباً عن حياتها الخاصة، استجاب الكاتب لطلبها، رتب معها لقاءً سرياً في القصر لتحكي له عن التفاصيل التي تود أن تنشرها في كتابه عن حياتها. ذهب إليها في الميعاد المحدد، وبدأ في طرح أسئلته عليها، كان من أهم الأسئلة التي وجهها إليها هو سؤاله ..

- ما اللحظات التي بدلت حياتك وحولتك من ضحية إلى منتصرة؟
ضحكت ديانا قائلة..

- تعجبني طريقتك في طرح الأسئلة.
ثم استطرقت قائلة..

- كان هذا في الصيف الماضي، عندما قام مصفف شعري بقص شعري بشكل مختلف تماماً عما اعتدت عليه طيلة حياتي، وقد فجر ذلك شيئاً جميلاً بداخلي، أيضاً حين انتصرت على البوليميا منذ عامين، شعرت حينها أنني أقوى ذهنياً وبدنياً كثيراً، لذا استطعت المضي قدماً.

اتفقا في نهاية اللقاء أن تسجل له ديانا باقي التفاصيل الهامة عبر جهاز "التكتافون"، وترسله له سراً بالبريد، ظلت تفعل ذلك كل يوم مدة ثلاثة أسابيع متتالية، وطلبت منه الانتهاء من كتابة الكتاب دون نشره حتى يحين الوقت المناسب ستعطيه الإشارة لنشر الكتاب. تسلمت ديانا بهذا السلاح الخطير، لتخرج كل ما في جعبتها من سهام في الحرب التي ستخوضها ضد زوجها وحمايتها والتي باتت على الأبواب.

ساعت الأمور بين ديانا وتشارلز ووصلت إلى ذروتها، ما أدى إلى انفصالهما بشكل غير رسمي في مطلع عام ١٩٩٢ م، حيث انتقلت ديانا للعيش في قصر "ويتزنتن" بينما ظل تشارلز في قصر "بيكينجهام".

(١٤)

رحلة إلى مصر

بعد انفصالها غير الرسمي بحوالي خمسة أشهر، زارت الأميرة ديانا مصر، وصلت في الصباح الباكر بعد شروق الشمس، زارت كثير من الأماكن السياحية، كان أهمها الأهرامات وأبي الهول بالجيزة، والمتحف المصري والأزهر الشريف بالقاهرة، أحبها المصريون جداً وهي أيضاً بادلتهم حباً بحب، حين سألتها أحد الصحفيين خلال تلك الزيارة عن رأيها في مصر، أجابته قائلةً..

- أحببتُ مصر جداً، وأحببت شعبي الطيب المضياف.

من أول وهلة رأها فيها خفق قلب "زاهي حواس" الأثري المصري الذي كان مكلفاً بمرافقتها في جولتها السياحية بمصر، كان "حواس" شاب وسيم في الثانية والأربعين من عمره، يتمتع ببشرة لونها بلون طمي النيل، كان كل من يراه يعرف أنه شاب يتسم بوسامة خاصة لا يتمتع بها سوى أحفاد الفراعنة فقط، صافحها "حواس" مرحباً بها..

- مرحباً سمو الأميرة، أنا "زاهي حواس" يسعدني مرافقة سموك خلال جولتك السياحية بمصر.

ردت ديانا بابتسامتها الساحرة المعهودة..

- مرحباً سيد "حواس" السعادة لي أنا.

- أشرفت شمس سموك تزامناً مع شمسنا الدافئة فازدادت الدنيا إشراقاً ودفناً.

- أووه، أنت شخص لطيف للغاية، أشكرك.
- فلتفضلني معي لنبدأ جولتنا .
- حسنٌ .

بدءاً في السير على الأقدام ورجال الأمن يتابعونهما عن كثب، أما الصحفيين فكانوا يلتقطون لهما صوراً من بعيد دون الاقتراب طبقاً للتعليمات الأمنية المشددة، خلا مصور واحد فقط هو من سُمح له بتصويرهما عن قرب، هو المصور العالمي "باري ستين".

بدأ الحوار بينهما رسمياً، لكنه سرعان ما تحول إلى حديثاً حميمياً رائعاً.

- دكتور حواس، أخبرني من فضلك، كيف بنى المصريون القدماء هرم خوفو الضخم هذا؟! لقد قرأتُ كثيراً عن لغز بناء الأهرامات.
- أيعني هذا أن لسموك اهتماماً بالآثار المصرية؟
- بالطبع، لقد قرأتُ كتاب العالم البريطاني "روبرت ادواردز" الذي يروي تاريخ مصر الفرعونية، كما زرتُ المتحف البريطاني، وقابلتُ "فيفيان دايفيز" أمين قسم المصريات الذي شرح لي الكثير عن الآثار المصرية.

كانت ديانا تتحدث ببساطة رائعة، وبدأ حواس يشعر بالألفة، وأحس أنه أمام شخصية فريدة ومحبة إلى القلب، احتار رجال الأمن لماذا تحولت ابتسامة الأميرة إلى ضحكات من القلب! ولم يتخيل أحداً أنهما بدأا تبادل النكات!

- لأول مرة منذ زمنٍ بعيد لم أضحك من قلبي مثل هذه المرة، حقاً ما يقال عن المصريون وعن خفة ظلمهم المعروفة في العالم كله.

- هذا من لطفك سمو الأميرة، لولا بساطتك هذه وروحك الجميلة التي استشعرتها من أول وهلة ما كنتُ تشجعت وتعاملتُ معك بهذا الود والحميمية وكأنني أعرفك منذ زمن.
- أخبرني عن العمال الذين قاموا ببناء الأهرامات؟
- هؤلاء العمال كانوا يمثلون حوالي ثمانون بالمئة من الشعب المصري، إنهم أفراد الشعب الذين بنوا الأهرامات والمعابد وصنعوا هذه الحضارة العظيمة، أما الملوك والأمراء وموظفي الدولة فكانوا يمثلون نسبة العشرون بالمئة من تعداد الشعب.. هذه هي بلادي سمو الأميرة!
- من حقك أن تشعر بالفخر دكتور "حواس" فحضارتكم العريقة مدعاةً للفخر حقاً، ولكن أخبرني عن دور المرأة الفرعونية في بناء الأهرامات، هل كان لها دوراً فعالاً؟
- إن جميع الدراسات التي أجريت على عظام الموميאות، سواء في الرجال أو النساء أكدت وجود تأثيرٍ ما في العمود الفقري، ما يؤكد أنهم كانوا يحملون أثقالاً مثل الحجارة الضخمة، وأن الزوجة كانت تحضر أحياناً لمساعدة زوجها، بل ومشاركته في العمل، وذلك بخبز العيش وتجفيف السمك، وقد عثرنا في الحفائر بالفعل على مخبز.

ابتسمت ديانا متعجبةً..

- هل هو مخبز حقيقي فعلاً؟
- نعم، لكنه كان فرعونياً.
- وأي نوع من الخبز كان ينتجه هذا المخبز؟
- لقد عرف المصري القديم حوالي أربعة عشرة نوعاً من الخبز، ومازلنا حتى اليوم نأكل في الريف وصعيد مصر نوعين من هذا الخبز هو « العيش الشمسي» و«البتاو».

- وأين كانت الزوجة المصرية القديمة تصنع عجينة الخبز؟
- في أوانٍ تسمى « المواجير»، وقد تم اكتشاف بعض هذه المواجير. بل وأجرت الجمعية الجغرافية تجربة عمل نسخة من المخبز وكيفية وضع قوالب الخميرة في العجين. وكلها مشاهد مرسومة على جدران مقبرة توت عنخ آمون.

سرحت ديانا ببصرها في بانوراما المنطقة الرائعة التي تحمل عقب آلاف السنين من الماضي الغامض وسألت ..

- دكتور حواس، هل لك أن تخبرني كيف كان الرجل المصري القديم يعبر عن حبه لمحبيبته؟

نظر حواس إلى ديانا، وارتجف قلبه حين رأى لمحة حزنٍ في العينين الجميلتين!

كان الحبُ شيئاً رائعاً عند أجدادي المصريين القدماء، وهناك على جدران أحد المعابد كتبت امرأة رسالة الى حبيبها تقول له فيما: سأتظاهر بالمرض، حتى تشفق عليّ وتزورني، فأراك! اتسعت عينا الأميرة دهشةً.

- وماذا عن الرجل الفرعوني كيف عبّر عن حبه لمحبيبته؟
- لقد برع المصري القديم في الغزل، الكتابات الهيروغليفية على الجدران تشرح كيف كان يتغزل في عيون محبيبته، ورشاقته، وكيف كان يقضي الليالي ساهراً يفكر فيها.
- كيف كانت المرأة المصرية الفرعونية تنادي حبيبها؟
- كانت تناديه.. « يا أخي»
- وكيف كان هويناديهما؟

- كان يناديها .. «يا أختي»!

- ياله من أسلوب رائع وراقٍ في الحوار بين المحبين!

انتهت جولتها بمصر والتي لم تستغرق أكثر من ساعة واحدة إلا أنها تركت عظيم الأثر في قلب "حواس"، ومن ذا الذي يرى ديانا ولا يحبها من أول نظرة!

وبينما كانا سائران في نهاية جولتهما لمحت ديانا من بعيد سيدة تجلس على الأرض بالقرب من الهرم الأكبر ومعها "قفة" فهمت من هيئتها أنها عرافة، ولأن ديانا كانت تؤمن بالطالع وأخبار الكواكب والنجوم، فقد أخذها فضولها لمعرفة طالعها عن طريق هذه العرافة وما يخبئه لها المستقبل.

طلبت من "حواس" أن يطلب من العرافة أن تقرأ لها الطالع، دُهِش حواس من طلبها وسألها:

- هل تؤمنين بالطالع سمو الأميرة؟

- جداً دكتور حواس، من فضلك قل لها أن تقرأ لي الطالع.

- حسنٌ.

نادى حواس على العرافة طالباً منها الاقتراب، فأسرعت العرافة بالاقتراب منهما.

- أأمري يا باشا.

- الأميرة تريدك أن تقرأ لها الطالع.

- من عينيا

أعطتها العرافة أربعة من الحجارة الصغيرة قائلة:

- وشوشي الودع

تناولتها منها ديانا بعد ترجمة "حواس" كلام العرافة وقربتهم من شفيتها هامة، ثم أعادتهم للعرافة .

ألقت العرافة الأربع حجارات على الأرض في حركة معروفة للعرافات ثم نظرت فيهم، فامتعض وجهها.

انقبض قلب ديانا من ملامح العرافة ، وسألها في توجس:

- ماذا يقول الطالع؟
- ردت العرافة:
- تحمليين من الصفات أحلاها، ومن الحظوظ أسوأها، ومن السعادة أقلها.

أطرقت ديانا برأسها قائلةً:

- نعم صحيح، اكلمي.
- متزوجة ولديك طفلين هما كل حياتك.
- بالفعل.
- تحيين زوجك لكن قلبه ليس ملكك.
- سكتت.
- ما يُحزن أيتها الجميلة هو عمرك!
- ماذا تقصدين؟
- أجلك قصير، قد لا تصلين إلى سن الخمسين.
- نعم طالما شعرتُ بذلك.
- نهايتك ستكون بشعة، ستموتين إما مقتولة او مسمومة.. هكذا يقول الطالع.
- وهذه أيضاً استشعرها.

هنا تدخل حواس محاولاً طمأننة الأميرة، وإلهائها عن كلام العرافة.
- الأعمار بيد الله وحده سمو الأميرة، لا يعلمها إلا هو، أرجوك لا تصدقني
هذه الخرافات، أطال الله لنا في عمرك ومتعك بوافر الصحة
والسعادة.

ابتسمت ديانا ابتسامة باهتة لا تنم عن شيء سوى أنها تصدق تماماً
كل ما تنبأت لها به العرافة.
شردت وعقلها لا تبرحه كلمات العرافة الأخيرة: "ستموتين إما مقتولة
أو مسمومة"!.

(١٥)

عقاب الملكة

غادرت ديانا مصر متجهةً إلى "تاج محل" بالهند، وكالعادة استقبلها الهنود بترحاب وحب بالغين، قامت بزيارة "معبد الحب" الذي شيده عاشق لعشيقته اعترافاً منه أمام العالم كله بحبه لها حد العبادة!

التُقِّطت لها العديد من الصور وحيدة أمام ذلك المعبد، تعبيراً عن افتقادها للحب من شخص من المفترض أنه أقرب الناس إليها .. زوجها، الذي على الرغم من وجوده بالهند في هذا التوقيت إلا أنه رفض الانضمام إليها.

بعد عودتهما من الهند، أرسلت الملكة في طلبها، ذهبت ديانا إليها وكانت تعلم ما تنوي الملكة مناقشتها فيه.

- ديانا، ألم يكن بيننا اتفاق مسبق بأن أترك تقومين بأعمالك الخيرية دون تدخل مني شريطة ألا تظهرني تعاستك الزوجية أنتِ وتشارلز أمام الناس؟
- وأنا لم أحنث باتفاقي جلالة الملكة، ابنك هو من فضل عدم الانضمام لي رغم وجوده في الهند في نفس وقت وجودي هناك.
- كان عليكِ ألا تظهرني أمام الصحافيين وحيدة، وخاصةً أمام معبد الحب، أعلم أنكِ تعمدتِ فعل ذلك كي توصلي رسالة إلى الرأي العام بأنك وتشارلز منفصلين.
- أنا لم أتعمد إيصال رسائل لأحد، لماذا تلقين اللوم عليّ دائماً، هذا اللوم وجيه لابنك ليس لي.

- أنتما الإثنان مخطأين وعليكما إصلاح الأمر.
- كيف؟
- تشارلز سيذهب غداً للعب مباراة البولو، اذهبي أنتِ أيضاً واطهري أمام الصحافيين بمظهر الزوجة التي تشجع زوجها، وتقف معه جنباً إلى جنب، وتسانده في كل المواقف، لقد أفهمتُ تشارلز نفس الشيء.
- وهل تعتقدين أن الناس سيصدقون ذلك؟
- نعم سيصدقون، الناس يهتمهم الظاهر فقط.
- لكني لا أريد فعل ذلك.
- ديانا، الأمر لا يحتمل أي نوع من العناد، الصحافيين لا يكفوا عن تكهناتهم بانفصالك أنتِ وتشارلز.
- وهل نحن لسنا منفصلان!
- قلتُ لكِ الناس لها الظاهر، أرجوكِ ديانا، ساعديني، خبر مثل انفصالكما هذا سيزعزع صورتنا أمام الناس، كيف يمكننا السيطرة عليهم والتأثير فيهم ونحن لدينا كل هذا الكم من المشاكل، الناس ستقول كيف يمكنهم إدارة الدولة وهم لا يملكون القدرة على إدارة قصرهم الملكي.
- عجباً، الملكة اليزابيث ملكة بريطانيا العظمى ترجوني أنا! عموماً أعدك أنني سأفعل ما طلبتِه مني، سأذهب لحضور المباراة غداً وسأقوم بالعمل على الوجه المطلوب.
- أشكركِ ديانا، لن أنسى لكِ هذا الموقف النبيل، لكن لي طلب أخير عندك .
- تفضلي.

- أتمنى أن تتصرفي بحكمة وحرص أكثر من ذلك في الفترة المقبلة، أنا لا أريد للأمور أن تصبح أكثر تعقيداً.
- وأمرك جلالة الملكة، سأحاول قدر الامكان فعل ما يجب عليّ فعله دون أن أسبب ازعاجاً لأحد.
- أشكركِ ديانا، يمكنكِ الآن الانصراف إذا أردتِ.
- فلتسمحي لي.
- تفضلي.

انصرفت ديانا من حضرة الملكة وفي قلبها هموم الدنيا، لطالما أرادت لها الملكة أن تسير على خطاها، لكنها متمردة، ترفض أن تعيش بغير طبيعتها، تتناسى دائماً أنها أميرة ثاني أكبر دول العالم بعد الولايات المتحدة الأمريكية، إنها دولة بريطانيا العظمى، كم تمننت لو أنها لم تُمنح هذا القلب الذي جعلها حبيسة حياة لم ترغب عيشها أبداً.

حين أوت لفراشها مساءً وقبل أن تنام راودتها أفكارٌ كثيرة:

- اااه لو عاد بي الزمن للوراء لما اخترتُ لنفسي هذه الحياة التعيسة أبداً..

"ابتسمي واطهري سعادتك للناس مهما كانت معاناتك لاستكمال العرض" تلك هي القاعدة الذهبية التي يسير عليها كل أفراد العائلة الملكية.. حدثت نفسها.. لكنني تعبتُ من التمثيل، تعبتُ من تقمص دور الزوجة السعيدة، تعبتُ من عيش حياة لا أرغبها، حياة مفروضة عليّ ولا خيار أمامي سوى قبولها.. هكذا باتت ديانا ليلتها سجيناً أفكارها ومشاعرها المضطربة تستعد لأداء المشهد التالي من المسرحية التي باتت بالنسبة لها سخيفة ومملة.

- لماذا يحدث لي كل هذه الأوجاع؟ ولماذا عليّ تحملها؟ هل أخطأت حين تزوجته؟ ولكنني حتى وإن كنتُ أخطأت فماذا يمكنني فعله بعد كل تلك السنين؟ أيجدر بأميرة ويلز أن تنفصل عن زوجها؟ الأميرات لا يطلقن، ثم حتى لو طلبت الطلاق من تشارلز لن يوافق، ليس حباً لي؛ لكن لأنه أمير ويلز، ولو هو ووافق على تطليقي لن توافقه أمه.

تهددت تهيدة حارة مرددة آخر كلمة نطقها .. أمه.. كله كوم وأمّه وحدها كوم آخر، الملكة اليزابيث تكرهني منذ زواجي من ابنها، كل تصرفاتها معي تدل على ذلك، ترقب كل تصرفاتي وتنتقدي باستمرار، تتمنى لو أنني أختفيتُ من أمامها للأبد، تزعجها مخالفتي لتعليماتها، ويضايقها رفضي الانصياع لأوامرها. تكره عِندي وتمردِي عليها، تمنّت لو أنها امكنتها إبادتي من على سطح الكرة الأرضية.

أطفأت ضوء الغرفة من مفتاح الغلق بجوار السرير ولاذت بالفرار إلى النوم هرباً من مطاردة أفكارها.

بعد وقت من نومها لا تدري كم عدد دقائقه أو ساعاته، سمعت صوت أقدام خارج باب غرفتها، فقامت فزعة صرخت: مَنْ؟ مَنْ بالخارج؟ لم يأتها صوت، قامت متسللة ناحية باب الغرفة، سألت مرة أخرى:

- من بالخارج؟

لم يجيبها أحد أيضاً، صوت الأقدام لازال بالخارج، كما أنها رأت ظل تلك الأقدام يتحرك ذهاباً وإياباً مع ذلك الصوت.

تسارعت دقات قلبها، وظلت ترتجف خوفاً، توقعت أن أحدهم يتربص بها ويريد قتلها! لعل هذا الأحد أرسلته الملكة اليزابيث لقتلها، أو أن الملكة

اليزابيث نفسها هي التي أتها لتنتهي حياتها بيدها، بعد ثوانٍ اختفى ظل الأقدام وتلاشى الصوت.

لم تجرؤ ديانا على فتح باب غرفتها لتستكشف الأمر، وعادت إلى سريرها وهي لازالت ترتجف، وعينها على باب الغرفة تنظر تحت عقبه ترقب الظل الذي رآته منذ قليل، ظلت على هذي الحال لأكثر من ساعة، حتى غلبها النعاس ونامت.

شعرت بيد تلكرها بقوة في كتفها، استيقظت فزعة حين رأت شيخ إنسان يقف أمامها، انتفضت صارخةً:

- مَنْ أَنْتَ؟
- أَلَمْ تَعْرِفِينِي يَا أَمِيرَةَ وِيلِز؟
- همت ديانا لتضغط على زر فتح الاضاءة إلا أن الشبح الذي أمامها صرخ فيها قائلاً:
- لا تفتحي الضوء.
- لجم الخوف لسان ديانا فلم تستطع النطق، هي لا ترى الوجه ولكنها تعرف الصوت جيداً.
- لماذا خرسيتِ أيتها الأميرة الشجاعة؟ أين شجاعتك إذن؟ فلتتهضي واعتدي في جلستك، فأنتِ تكلمين الملكة اليزابيث.
- الملكة اليزابيث! نعم لقد عرفتُ صوتك من البداية، ماذا تريد مني جلالة الملكة؟ ردت ديانا بصوتٍ مرتعشٍ بعد اعتدالها في جلستها.. وواصلت:
- أَلَمْ أَعِدْكَ بِأَنْتِي سَأَنْفِذُ مَا طَلَبْتِيهِ مِنِّي بِخُصُوصِ حَضُورِي مِباراةِ البولولتشارلز؟

- مباراة البولو؟ هل صدقتي فعلاً أنني أريد منك حضور مباراة البولو مع تشارلز؟ أيصور لك خيالك المريض أن الملكة اليزابيث يمكن أن ترجو واحدة مثلك مساعدتها في حل أزمته التي هي من تسببت فيها من الأساس؟! أنتِ واهمة يا جناب الدوقة.
- ماذا تريد مني إذن؟ ولماذا أتيت إلى غرفتي في هذا الوقت المتأخر من الليل؟ سألتها ديانا مرتعدةً.
- أريد أن آخذ روحك ديانا.. قالتها الملكة بصوت أجش.
- ماذا تقولين؟ أتريدن قتلي جلالة الملكة؟ سألتها ديانا بينما كانت تهتم للوقوف من على السرير.
- أجلستها الملكة بعنف صارخةً فيها:
- إجلسي ولا تتحركي من مكانك.
- ثم أردفت.
- لقد تسببت في الكثير من المتاعب لي ولتشارلز وللعائلة المالكة ككل، وقد حان الأوان لكي أخلص الجميع من متاعبك.
- أدركوني .. صرخت ديانا
- أخرسي .. أمرتها الملكة .. ثم واصلت:
- لن يسمعك أحد، لقد انتظرتُ حتى ينام جميع العاملين بالقصر حتى لا يشعر بي أحد وأنا آتٍ لغرفتك، فحين تموتين ستظهر ميتتك للجميع أنها ميتة طبيعية، ولا دخل لأحد فيها.. ثم ضحكت الملكة ضحكة شريرة أرعبت ديانا أكثر، تمكنت ديانا من الوقوف سريعاً من على السرير وجرت ناحية الشرفة، محاولةً الاستنجاد بأحد، جرت وراءها الملكة واضعة يدها على فمها في محاولة منها لكتم صوتها، لكن ديانا قاومتها، واستطاعت أن تزيل يدها من على فمها، إلا أن

اغتيال

سرعان ما لفت الملكة يدها حول عنق ديانا ضاغطةً عليها بكل قوتها، حاولت ديانا مقاومتها هذه المرة لكن دون جدوى، فكانت يد الملكة عنيفة وقوية بالدرجة التي لم تستطع معها ديانا إزالتها من على عنقها، جحظت عينا ديانا، وفتحت فمها لالتقاط أي ذرة أكسجين تساعدها على التنفس، لكنها كانت تختنق، ومع ذلك ظلت تقاوم، إلى أن خرقت قواها، وتدلّت يدها بجوارها، لقد نفذت أنفاسها الأخيرة.

بعد أن تأكّدت الملكة أن روح ديانا فارقت جسدها، حملتها وألقت بها من شرفة غرفتها بالطابق الثاني إلى الطابق الأرضي لتسقط غارقةً في دماءها.

- ماذا بكِ سمو الأميرة؟ .. سألتها "ويندي" التي جاءت مسرعةً حين سمعت صراخ ديانا في غرفتها.

أفاقت ديانا على صوت "ويندي" واكتشفت أنه كابوس مزعج، ظلت تسمي باسم الله، غير مصدقةً أن كل ما رآته كان مجرد حلم أو كابوس.

ناولتها "ويندي" كوباً من الماء لتشرب، شربت ديانا ولا زالت تلهث وقلبها يعلو ويهبط.

- ألم تنتهي من هذه الكوابيس سمو الأميرة؟ سألتها ويندي في أسمى، ثم واصلت:

- الأمور تفاقمت جداً في الآونة الأخيرة، الكوابيس باتت تأتيك بشكل يومي تقريباً، أرى أنكِ يجب أن تعرضي نفسك على طبيب أعصاب.

- كم الساعة الآن يا ويندي؟

- إنها الثامنة صباحاً سمو الأميرة.

- إحضري لي ملابس الخروج بسرعة، ميعاد مباراة كرة البولو التي سيلعبها تشارلز بعد نصف ساعة، لا يجب أن أتأخر عليه.

- لم تتناولى شيئاً للفظور .
- ليس هناك وقت، أجلي الفطار بعد مجيئي من المباراة.

ذهبت ديانا إلى مباراة البولو، وبعد انتهاء المباراة التي انتهت لصالح تشارلز، اتجهت نحوه وأهدته باقة من الزهور، وقبلته على وجنته، تحاشت تقبيله في شفتيه، هي فقط تقوم بالدور المنوطة به ليس إلا، التقطت كاميرات الصحفيين هذه القبلة، وهذا هو المطلوب بالضبط.

طفع الكيل بالنسبة لديانا، فلم تقوَ على التحمل أكثر، لذا أعطت الإشارة لـ "مورتن" بالتنويه عن الكتاب على شاشات التلفاز. في الخامس من يونيو عام ١٩٩٢م تم الإعلان عن اقتراب انطلاق كتاب "ديانا قصتها الحقيقية" للكاتب "أندرو مورتن".

اثار الكتاب اهتماماً جماهيرياً كبيراً، حين ظهر "مورتن" على شاشات التلفاز ليتحدث عن الكتاب قائلاً..

- لننسى الدعاية قليلاً ونقول الصدق فيما يحدث.
- ما دافعك لنشر هذا الكتاب؟
- دافعي الوحيد هو الصدق، إننا نواجه مشكلة في قصر "وندسور" وهذا واضح للجميع.
- ثم تصبح ثرياً!
- لو كان هذا بديهيّاً فليكن، ولكن دعوني أقول لكم إن الكتاب أحدث دويّاً لأنه صادق، إنها قصة ديانا الحقيقية بشكل متعاطف.

لم يعلق قصر بيكينهام على كل هذه الضجة حول الكتاب سوى بجملة واحدة فقط.. "أعمالنا ليست ترويجاً للأعمال المنشورة".

هذا الكتاب القنبلة هو أكثر كتاباً أثار ضجة في التاريخ، قُدرت مبيعاته بحوالي خمسة عشر مليون جنيه استرليني في خلال ثلاثة أشهر فقط. بعد صدور الكتاب انزعجت الملكة اليزابيث والأمير تشارلز جداً، مما تضمنه الكتاب من تفاصيل غاية في الدقة والجرح عن حياة تشارلز وديانا الخاصة، وكذلك عن علاقته بعشيقته كاميليا باركر، لقد حنثت ديانا بالعهد ثانيةً أمام الملكة، لكن وقع هذه المرة كان أكثر إيلاماً وأشد انتقاماً، هاهي تعلن الحرب على الملكة بشكل علني، وبات واضح للجميع توتر العلاقة بين ديانا والملكة من ناحية وبينها وبين تشارلز من ناحية أخرى، فالقنبلة التي فجرتها ديانا استحالت معها العِشرة أو حتى الاستمرار في استكمال مسرحية "حياة الأميرين السعيدة".

نُذت ديانا في القصر من العائلة المالكة، وأصبح الجميع يكرهها، حتى أن المؤسسة الصحافية للقصر بدأت في مهاجمتها، كتبوا عنها.. "مارلين مونرو الثمانينات، وأنها مولعة بالرجال، كما أنها تعشق لفت الأنظار" لم تتحمل ديانا كل هذا الضغط الذي وقع عليها، ما أصابها بالاكتئاب، وجعلها تنسحب من الحياة العامة، وأعلنت هذا بشكل رسمي.

ظلت العائلة المالكة خلال عامين تالين تبذل قصارى جهدها لكسب حب الشعب البريطاني، وإعادة ثقته التي فُقدت، وإصلاح ما أفسدته ديانا، إلا أن ديانا التي كانت تتابع المشهد عن بُعد لم تقبل أن تضحي بكل ما وصلت إليه في السنوات الماضية من الرصيد الهائل من حب الناس، وكذلك من الشهرة والمجد بهذه البساطة، قررت معاودة الانتقام من جديد.

اختارت موعداً دقيقاً جداً حتى تكون الضربة هذه المرة في مقتل، يوم الذكرى السنوية لزواج الملكة اليزابيث الثانية، وكان هذا في العشرين من نوفمبر لعام ١٩٩٥ م.

كانت الملكة تحنفل بزواجها الثاني والأربعين بإسلوب فخم، حيث دعت الشخصيات الهامة من ملوك ورؤساء الدول، هنا جلب لها أحد مستشاريها خبيراً مزعجاً للغاية، ديانا تظهر في الوقت ذاته على شاشة التلفزيون الوطني، انتهى الحفل.

ظلت ديانا لمدة ساعة كاملة تتحدث عن مشاكلها مع تشارلز والملكة اليزابيث، ومن أشهر العبارات التي قالتها خلال هذا اللقاء..

- "كنا ثلاثة في هذا الزواج، وهذا كثيرٌ جداً" لم تصرح ديانا بماهية الشخص الثالث الذي تقصده، ما جعل التكهينات بين الناس تختلف، منهم من قال أنها تقصد الملكة اليزابيث، والبعض الآخر توقع أنها تقصد كاميليا باركر.

حين شاهدت الملكة اليزابيث هذا اللقاء لديانا، تملكها الغيظ، شعرت أن الأرض تهتز من تحت قدميها، وأنها تفقد السيطرة على كل شيء، تمنّت لو أنها تملك سلاحاً ألياً لتطلقه على مبارزتها التي لا تتوانى عن تصويب ضرباتها المتتالية إليها على غير استعداد، ما كان العامين الماضيين سوى هدنة قصيرة منحتهما ديانا للملكة اليزابيث لتلتقط أنفاسها ثم تعود إلى ساحة القتال أكثر شراسة، وهذا في الوقت الذي تحدده هي وتراه مناسب للضربة القاضية. بعد مدة قصيرة أصدرت الملكة اليزابيث تعليماتها لتشارلز..

- عليك بتطبيقها الآن.

وبالفعل تم الطلاق في مطلع عام ١٩٩٦ م.

(١٦)

طبيب قلبي

فاقت ديانا من شرودها على صوت رنين الهاتف الذي أعادها من ذكرياتها الحزينة منها والسعيدة، انسلخت بكل هدوء من بين طفليها اللذان كان كل منهما يتخذ من إحدى ذراعها وسادةً له، التقطت سماعة الهاتف ورددت..

- الو

- نعم أنا ديانا، من الهاتف؟

- أوه دكتور حسنت، مرحباً دكتور، آسفة خانتي أذني ولم أعرف صوتك.

- أنا بخير الحمد لله، وأنت؟

- إنها دعوة رقيقة منك دكتور، لكن هل يمكننا تأجيلها للغد من فضلك؟ فلقد وعدتُ طفليَّ بالغداء معهما اليوم.

- في أي مكان تفضله أنت، سأترك الأمر لذوقك.

- لا دعني أمر أنا عليك بالمستشفى بسيارتي، سيكون معي سائقي وحارسي الشخصي.

- حسنٌ، موعد مناسب تماماً.

- إلى اللقاء.

اغلقت ديانا الخط وهي في حالة نشوة رائعة، كم كانت في احتياج لهذه الدعوة التي جاءت من إنسان تشعر في الوقت الراهن أنها في أمس الحاجة

إليه، شعرت من اللحظة الأولى التي رأت فيها "حسنت خان" أنه سيكون بالنسبة لها "حب العمر" برغم الفروق الواضحة بينهما، والتي من الممكن أن تكون حائلاً بينهما، فهو هندي الجنسية وهي بريطانية بل أميرة بريطانيا، هو رجل مسلم وهي امرأة مسيحية، كما أن فارق العمر بينهما كان كبيراً نوعاً ما، وبرغم كل ذلك أحبته وشعرت في قرارة نفسها أنه يحبها أيضاً، لم تبال ديانا أبداً بل لم تؤمن بالفوارق بين البشر، إيمانها وعقيدتها في اعتبارها أن الحب وحده هو من له القدرة العجيبة على إذابة الفروق وإزالة الحواجز، نعتنق الانسانية وتعتبرها هي دينها والحب مذهبها.

في اليوم التالي استعدت للقاء الأول بحبيبها - بالنسبة لها على الأقل - استعدت بأبهى حُلة، ارتدت "تاير" باللون الأزرق السماوي، كم كانت ديانا تعشق هذا اللون الذي هو بلون قلبها الصافي وروحها النقية، اكتملت طلبتها الهية بارتدائها قبعة بنفس اللون، أما الحذاء والحقيبة فكانا بدرجة أقمم قليلاً، كان قلبها لازال مكسوراً لكنها قد قررت أن تجرّه بطريقتها الخاصة، لعل هذا الحب الجديد يكون هو الدواء الذي تنتظره، نعم حب جديد، قلبها حدثها بذلك وهي صدقته، لم يكذب عليها يوماً، فهو بالنسبة لها البوصلة التي توجهها إلى الطريق الصحيح.

طلبت من سائقها التوجه إلى "مستشفى لندن العام" تحرك بها السائق الذي كان يجلس بجواره حارسها الخاص، انطلق بالسيارة متجهاً إلى المستشفى، وهناك كان طبيها الذي رد فيها روحها من يومين، والذي يجدد خلايا قلبها اليوم بانتظارها.

نزلت من السيارة متجهة إلى مكتب "حسنت خان" استقبلها بحفاوة وهي أيضاً كانت ابتسامتها الطفولية الرقيقة التي ترسم على شفتيها وعينيها اللامعتان كانتا أبلغ تعبير عن سعادتها وحفاوتها بلقائه.

- مرحباً سمو الأميرة .. قال لها حسنت خان مصافحاً إياها.
- مرحباً دكتور حسنت، أظن أنه لا حاجة لنا بالألقاب، فنحن الآن صديقان وعلى وشك تناول الغداء معاً.
- معكِ حق، هل تفضلي تناول مشروب ساخن قبل الذهاب لتناول الغداء؟
- لا، يفضل أن ننصرف لتناول الغداء أولاً لأنني إذا تناولت أي مشروب قبل الطعام لا يمكنني تناول وجبتي جيداً.
- كما ترغيبين، تفضلي.

تقدمته ديانا، وهو خلفها فهو وإن كان ليس من أصل ملكي أو حتى بريطاني لكنه يفهم جيداً في فن "الإتيكيت" والنوق في المعاملات بين البشر، يدرك أنه يعامل امرأة بالاضافة إلى كونها أميرة فهي أيضاً غاية في الرقة.

استقلا المصعد الكهربائي وهبطا إلى الطابق الأسفل حيث السائق والحارس الشخصي بانتظارهما بالسيارة.

- من فضلك توجه بنا إلى مطعم فندق شيراتون.. طلب حسنت من السائق.

ظلا الثنائي يثرثر طيلة الطريق، يتبادلا البسمات والضحكات حتى وصلا إلى باب الفندق.

نزل حارسها الخاص أولاً طالباً من ديانا وصديقتها الانتظار بالسيارة حتى يتفحص المكان أولاً، استجابت ديانا لطلبه، ذهب الحارس للمطعم وبعدهما تفحص المكان جيداً اختار لهما طاولة مناسبة من الناحية الأمنية، حتى يمكنه متابعتهم لضمان حمايتهم، عاد إليهما في السيارة وطلبا منهما

تتبعه حتى باب المطعم، نزلت ديانا وحسنت متبعاه حتى باب المطعم، فتوجه بهما الحارس إلى المائدة التي اختارها لهما، أجلسهما وانصرف هو خارج المطعم كما أمرته ديانا، فهي تريد أن تشعرولو للحظة أنها غير مرآقبة، وأنها تعيش أوقاتاً خاصة لا تريد لأحد اقتحامها وإفساد خصوصيتها. كان حسنت خان أنيقاً جداً، كان يرتدي بزة بنية اللون تدل على الفخامة والبساطة في آن، كما أن أناقته لم تقتصر فقط على الملابس ولكنها أيضاً شملت كلماته وتصرفاته اللبقة.

- أنت أنيق جداً حسنت، طريقتك في اختيار ملابسك وألوانها تدل على ذوق رفيع، اعذرني إن كنتُ رفعتُ الألقاب من أول لقاء، فأنا كما قلتُ لك لا أحب الألقاب لأنها تصنع حاجزاً بين الناس، وأنا لا أرغب في وضع حواجز بيبي وبين الناس وخاصةً القريبين مني.
- لقد قطعيتِ عليّ مشواراً طويلاً سمو الأميرة، أقصد ديانا، أنا أيضاً لا أحبذ الألقاب مع الأشخاص القريبين إلى قلبي.

ابتسمت ديانا..

- هذا يعني إنني قريبة لقلبك!

نعم ديانا هذه حقيقة، أنتِ قريبة جداً لقلبي حتى قبل أن التقيكِ. تعجبت ديانا من تصرّحه..

- كيف؟

- كثيراً ما تابعتُ أخبارك في التلفاز وفي الصحف ليس بصفتك أميرة ويلز، ولكن كان هناك دائماً شيئاً آخر يجعلني أهتم لأمرك، شيئاً خفياً يجذبني إليك، لا أدري ما هو، كنتُ كلما رأيتك في التلفاز أجلس أمام الشاشة وأطلع إلى وجهك الجميل متفحصاً إياه بدقة، عينيكِ

اغتيال

الرائعتين، شفتيك ، وجنتيك، وصوتك، وحتى حركة يديك أثناء الكلام، كل شيء، وعلى الرغم من أنني مقل جداً في متابعتي للتلفاز وقراءة الصحف بسبب ضيق الوقت إلا إنني كنتُ أنتظر بشوق غريب ظهورك على الشاشة أو صورك واخبارك بالجرائد.

ارتجف قلب دياناً فرحاً بما سمعته من حسنت.

- يا ااه كل هذا يا حسنت؟
- وأكثر من ذلك ديانا، أفضي لك سرّاً؟
- تفضل.
- أنا كنتُ كلما رأيتُ صورك في الصحف أقوم بقصها ولصقها في كشكول خصصته خصيصاً لصورك أنتِ فقط، صنعتُ من صورك ألبوماً كبيراً، كل صورة موضوعة بتاريخها التي وضعتها فيه، كل ليلة أمسك هذا الألبوم وأتطلع فيه قبل أن أنام.
- معقول! أجابته ديانا مندهشة.
- اعذريني لصراحتي، فأنا لستُ من الأشخاص الذين يجيدون اللعب بالألفاظ أو اللف والدوران، أنا إنسان صريح، كل القريبين مني يعرفون عني ذلك، الغريب أنني قليل الثقة بالناس، لكن لا أدري لماذا وكيف وثقت بكِ بهذه السرعة!
- أنا أيضاً حسنت، لا أدري كيف وثقت بكِ بهذه السرعة، حسنت أنا أحبك.
- حقاً ديانا؟

أمسك يدها وقبلها بلطف.

- حقاً حسنت، منذ أن رأيتك في المشفى وبرغم حالة الإعياء التي كنت عليها حينها، وبرغم أننا لم نلتق من قبل إلا أنني أحسست وكأنني أعرفك من قبل، شئٌ قويٌّ جذبني إليك، عيناكُ بهما حنان لم أستشعره من قبل، أحسستُ حين نظرتُ إليّ حينها أنهمما يعانقاني بشدة.

- كلامك جميل مثل عيناكُ حبيبي.

- أحبك حسنت.

- وأنا أعشقك ديانا، حين أتيتِ إلى المشفى في حالة الإعياء تلك لم أصدق عينيا، سألتُ نفسي هل هي فعلاً أم أنك من كثرة تفكيرك فيها خُيل لك أنك تراها أمامك، من كثرة انشغالك بها تصورت أن كل النساء هي.

ضحكت ديانا من لغته الأنيقة في الحوار، كما أن لهجته الهندية انعكست على طريقة نطقه للغة الإنجليزية فمنحتها جرساً موسيقياً خاصاً به هو فقط، سُحرت ديانا به وبكل تفاصيله، لهجته صوته، كلماته، وسامته، ولون بشرته الخمرية، والأهم من كل ذلك حبه وحنانه.

تعددت اللقاءات بينهما بعد هذا اللقاء الساحر، حتى أنها زارته في المستشفى ذات مرة ليست كمريضة ولكن كحبيبة أرادت أن تشارك حبيبها كل تفاصيل يومه، طلبت منه أن يدخلها معه غرفة العمليات، لم يرد طلبها وو افق على مرافقتها له، كانت تستمتع بكل ما يقوم به وكأنها طفل مبهور بشخصية أحبها، أصبحت تقلده في كل شيء، حركاته، سكناته، مشيته، صوته، وكان هذا يعجب حسنت جداً ويضحك حينما تقوم بتقليده، لأنه

يدرك تماماً أن هذا التصرف منها لا يدل على شيء سوى أنها أحبته بالفعل، بل عشقته.

يوم أن أدخلها معه غرفة العمليات، ارتدت زباً يشبه زي الأطباء، ووضعت كمامة على أنفها، وارتدت قفازات في كلتا يديها، كانت تقوم بعمل المرضات المساعدات تماماً، كانت تناوله أدوات الجراحة، تسمح له جبهته من العرق قبل أن تتساقط قطراته على عينيه كانت تمسحهم بمنديل معقم، ظلت معه طيلة مدة العملية الجراحية التي استغرقت حوالي ساعتان ونصف لم تمل خلالها أو تتعب، بل بالعكس كانت مستمتعة لسببين أولهما: أنها تساعد حبيبها، والثاني أنها تساهم في إنقاذ حياة إنسان مريض من خلال عملية قلب دقيقة للغاية، وهذا العمل يروق لها جداً كعمل إنساني.

من كثرة حديث حسنت لديانا عن أمه القريبة لقلبه، طلبت منه أن يعرفها عليها وعلى باقي عائلته، قام حسنت بتلبية رغبتها للمرة الثانية، ما كان ليرفض لها طلباً، اصطحبها معه إلى باكستان، وهناك في بيت العائلة رحب بها جميع أفرادها، وخاصةً أمه التي كانت في غاية اللطف معها. حين دخلت البيت الكبير المبني على الطراز الهندي عبرت مع حسنت من الباب الحديدي الشاهق الارتفاع ساروا خلال طريق مرصوفة تفصل بين حديقة قسمها ذاك الطريق إلى نصفين أحدهما عن اليمين والآخر عن اليسار، كانت الحديقة منسقة ومزروعة بأنواع لأزهار وأشجار عديدة الألوان، زكية الرائحة، تحتوي الحديقة على غرفة كبيرة مفروشة بأثاث راقٍ وبسيط في آن، حيث أنها حجرة مربعة قائمة على اثنتي عشر عموداً، أربع اعمدة في كل جهة من الجهات الأربعة للغرفة مسقوفة بدون حوائط، تحيطها الزروع من ثلاثة اتجاهات، أما الجهة الرابعة فتطل منها على حوضاً كبيراً للسباحة، من روعة المنظر لم تصدق ديانا أن هذا التصميم الراقى هو في بيت باكستاني، حُيل لها أنها في

أحد قصور أوروبا لولا الزي الهندي المميز الذي كانت ترتدينه نساء البيت المعروف باسم "الساوي" والذي هو عبارة عن فستان طويل يغطي أخصم القدم بالإضافة لقطعة قماش كبيرة بنفس لون الفستان والتي عادة تكون ألوانه مزرقشة تلتف حول جسد المرأة الهندية تظهر جمال قوامها المشوق، كذلك الزي الهندي الرجالي المعروف باسم "كورتا" وهو عبارة عن جلباب أبيض قصير يصل إلى الركبة فقط وبنطال بنفس اللون، أرادوا أن يدخلوها داخل البيت لكنها فضلت الجلوس في هذه الغرفة المريحة - كما قالت لهم- كانت المقاعد عبارة عن مقعد واحد كبيريلف كل اتجاهات الغرفة الأربعة في شكل بيضاوي تفصلها باب الغرفة في أحد اتجاهاتها، وفي منتصف الغرفة تنتصب طاولة كبيرة للطعام بيضاوية الشكل.

جلست ديانا وسط ترحاب أمه وأختيه وخاله وعمه، أما أبيه فقد وافته المنية منذ أن كان حسنت طفلاً.

كانوا قد أعدوا لها طعاماً هندياً شهيماً جداً، لم تكن قد تناولته من قبل، قالت لها أم حسنت بعد أن تناولت قطعة من الفطير المعدة من الأرز والعدس والمحشوة بالبطاطس المشوية:

- تفضلي سمو الأميرة
- تناولته منها ديانا شاكراً متسائلةً عن اسم هذا الطعام الذي تبدو رائحته شهية للغاية، فأجابتها:
- هذا مخبوز اسمه "ماسلا دوسا" وهذا من أشهر أكالاتنا تذوقته ديانا مبدياً إعجابها بطعمه..
- امم يا له من طعام لذيذ، لكنه حار بعض الشيء.
- نعم سمو الأميرة، فأفضل ما يميز أطعمتنا الهندية هي التوابل الحارة.

أخذ حسنت طبقاً مملوءاً بالدجاج المشوي، الذي لا تقل رائحته
اشتهاءً عن تلك الفطيرة المحشوة قائلًا:

- فضلي ديانا، هذا الطبق سيعجبك جداً، اسمه "تندوري الدجاج".
أخذت ديانا منه قطعة دجاج وتذوقتها قائلةً:
- شهى حقاً، كيف يتم طهي هذا الطبق اللذيذ؟
أجابها حسنت:

- إنه عبارة عن دجاج مشوي باللبن المتبل بالتوابل الهندية الحارة،
بعد تبيلته يوضع في فرن الطين أو فرن التندور، ومن هنا جاءت
تسميته بتندوري الدجاج.

حاولت أخت حسنت والتي تُدعى "مادهوري" اعطائها نوع آخر من
الطعام، لكن ديانا قد شبعت بالفعل، فاعتذرت منها قائلة:
- معذرة "مادهوري" فقد أكلتُ كثيراً اليوم، أنا في حياتي لم أتناول
طعاماً شهيماً بمثل هذا الطعم من قبل، أنا متأكدة بأنني سوف
أكتسب على أثره عدة كيلوات.

ضحكت "مادهوري" وضحك الجميع.

شعرت ديانا بالدفء الأسري والألفة التي طالما افتقدتها طيلة حياتها .
أنهت رحلتها الممتعة في باكستان عائدةً إلى انجلترا لتكمل أعمالها كأميرة
ويلز، قامت بالمشاركة في حملة لنزع الألغام في حقل الألغام بأنجولا بالقارة
الافريقية، خاطرت ديانا بحياتها ولم تفكر في نفسها، فكرت فقط في سكان
المنطقة المتضررين من زرع تلك الألغام وكيفية مساعدتهم بشكل عملي على
التخلص منها ومساعدة قاطني تلك المنطقة على العيش بشكل آمن، ارتدت
خوذة الرأس ونزلت بنفسها الحقل، ليس هذا فحسب، بل كانت عطوفة جداً

مع الأشخاص المتضرين من هذه الألغام كالمبتورة أحد أقدامهما أو كليهما، تبرعت لهم بأطراف صناعية فضلاً عن التبرعات المادية الضخمة. صرحت ديانا في وسائل الإعلام أن بريطانيا هي شريكة في زرع الألغام في هذه الحقول، وأن على وزيرة الدفاع المدني التخلي عن هذه السياسة القذرة التي تنتهجها، وأن تجعل قضيتها الأهم والأسوى هي الدفاع عن الإنسانية، لأن ليس مهتمها التنكيل والتدمير إنما الحماية والأمن والدفاع. حين سمعت الملكة اليزابيث هذا التصريح جن جنونها..

- ماذا تقول هذه المجنونة، ألا رحمننا الله من جنونها! هذه الطائشة أصبحت خطراً ليس على العائلة المالكة فحسب بل على بريطانيا ككل، أوشكت نهايتك على الاقتراب يا ديانا، لا بد وأن يوضع حد لكل تلك التجاوزات.

كانت زيارتها لحقل الألغام حديث الصحف والبرامج التلفزيونية، وصفوها بالأميرة الشجاعة، والإنسانة الطيبة، كما أن البعض من الصحف بدأ في اشتمام رائحة العلاقة السرية بينها وبين الطبيب الباكستاني، لكن الأمر ليس مؤكداً بالنسبة لهم، فنادراً ما كانت تظهر معه في الأماكن العامة، وحينما كان يوجه الصحفيين له أسئلة عن علاقته بها كان ينكر تماماً ويصف مثل هذه الأخبار بالشائعات المغرضة، كان حسنت حريصاً جداً على مظهرها أمام الناس، كان يعتبر مجرد الإفصاح للصحافة عن علاقتهما هو متاجرة رخيصة بها وبمكانتها وهذا أمر مستحيل بالنسبة لرجل يتمتع بالرجولة والأخلاق الكريمة مثله.

هاتفها ذات يوم طالباً لقيائها على وجه السرعة، قلقت ديانا وتساءلت.. ما عساها تحمل هذه المقابلة المريبة، فصوته هذه المرة لا يبشر بخير، ليس هو الصوت الهاديء الجميل المتلهف على لقاءها باستمرار، وإن كان لا يزال

متلهفًا، ولكن ليس شوقاً هذه المرة بل لإخبارها بأمرٍ خطير، هكذا يحدثها قلبها، تُرى ما هو هذا الامر الخطير؟! - تساءلت- ما زاد وساوسها هو إصراره على أن تكون مقابلتهما في المشفى وليس في مكان رومانسي كما اعتادا اللقاء. ذهبت إليه في المشفى والأفكار تتصارع في رأسها، حين رأته تأكدت من ملامحه الجامدة أن ثمة خطبٌ ما.

- لماذا طلبت مقابلتي على عجل حسنت؟ ولما أصريت على أن تكون مقابلتنا هنا في المشفى؟
- اجلسي ديانا ولتسمعيني جيداً، ثمة أمر هام أود محادثتك فيه. جلست متوجسة.
- ماذا جرى يا حسنت؟ أقلقيني.
- اسمعيني ديانا ولا تقاطعيني أرجوك حتى أنني كلامي.
- الأمر خطير إلى هذا الحد؟ تفضل انا أسمعك.
- تعرفين أنني أحبك، وأنني في غاية سعادتي معك، لكن يؤسفني أن أقول لك أنه آن الأوان أن نفترق، علينا أن ننهي علاقتنا فوراً.
- ماذا؟ أتعي ما تقول؟
- أعيه تماماً ديانا.
- ماذا جرى لتتخذ مثل هذا القرار الفجائي؟
- أبداً لم يحدث شيء، لكن...
- لكن ماذا؟ .. قاطعته ديانا وتحركت نحوه
- حسنت انا أحبك ولا يمكنني العيش بدونك.
- ديانا أرجوك.
- أرجوك أنت يا حسنت .. فكرت قليلاً ثم نطقت :

- اه فهمت، قل لي حسنت هل تعرضت لأي نوع من التهديد من قبل العائلة المالكة؟
- ليس مهم، المهم الآن أن نبتعد، لا يمكننا الاستمرار في علاقتنا على هذا النحو.
- نتزوج إذن، أليس هذا ما اتفقنا عليه سلفاً حين تسنح لنا الفرصة؟
- لا يمكننا أن نتزوج، فلم ولن تسنح لنا الفرصة أبداً.
- لماذا تقول هذا الكلام حسنت، أخبرني من فضلك ماذا جرى.
- أرجوكِ ديانا لاتصعي الأمر عليّ وعليكِ أكثر من ذلك، علاقتنا خطر علينا نحن الاثنين.
- خطر؟ ماذا تعني؟
- العائلة المالكة لن تسمح لكِ بالزواج من رجل مسلم.
- وماذا يمكنهم فعله؟
- يمكنهم فعل الكثير، افهمي أرجوكِ.
- لا أحد يمكنه إجباري على فعل شيء لا أرغبه او منعي من شيء أود فعله.
- مخطئة، أنتِ لستِ حرة كما تعتقدين، أنتِ أميرة بريطانيا، أتعلمين ماذا يعني أنكِ أميرة بريطانيا؟ يعني ثاني دول العالم قوةً ونفوذاً، لن يسمح لكِ أحد بفعل ما تريدن إذا كان ماتريدينه يتعارض مع سياسة الدولة، أو من شأنه أن يهز صورتها أمام العالم.
- وزواجي منك هو الذي سيهز صورة بريطانيا أمام العالم!
- بالطبع، لأن بزواجي منك سننجب طفلاً مسلماً، كيف سيسمحون لطفل مسلم أن يكون أميراً لدولة مسيحية! أفهمتِ الآن؟
- هذا ليس كلامك حسنت، صار لنا قرابة عام سوياً لم أسمعك خلالها تردد مثل هذا الكلام، ماذا جد إذن؟

- كنتُ مأخوذاً بكِ ديانا، نسيْتُ نفسي معكِ، تناسيت كل الفوارق بيننا، لم أفكر سوى في سعادتنا معاً، ظننتُ أنه لا يمكن لأي شيء الحيلولة دون حبنا، لكنني اكتشفت أنني كنت مخطئاً.
- وكيف اكتشفت هذا الاكتشاف العظيم؟ .. ردت بغيظ واستنكار.
- بصمت .
- الآن تأكدت أنهم هددوك، لكن أعلم يا حسنت أنه باستجابتك لهم أنت تتخلى عني.
- أنا لم أتخلَ عنكِ ديانا، لكنكِ تعلمين أنني انسان هادي بطبيعي، لا أحب الخوض في المشاكل.
- خفت حسنت؟ خشيت على نفسك من تهديداتهم؟
- وعليكِ وعلى عائلتي.
- عائلتك؟ وصل بهم الأمر بتهديدك بعائلتك؟
- الأمر أخطر مما تتصورين، مشكلتك ديانا أنك تبسّطين الأمور أكثر مما ينبغي ولا تأخذينها على محمل الجد، نحن في غابة يا عزيزتي البقاء فيها للأقوى.
- كفى، لا أريد أن أسمع أكثر من ذلك، لا أريدك أن تسقط من نظري بشعوري أنك جبان، ما عاهدتك هكذا يوماً، كما أن كرامتي لا تسمح لي بفرض نفسي عليك.

اتجهت ناحية باب غرف المكتب إستعداداً للمغادرة، فتحت الباب وقبل مغادرتها رمقته بنظرة عتاب أخيرة، لم يكن حسنت بالشجاعة الكافية للثبات أمام تلك النظرة القاتلة، فما كان منه إلا أن أطرق برأسه، فخرجت تجر جرديل الخذلان.

(١٧)

مع سبق الإصرار

خرجت ديانا من هذه العلاقة محطمة القلب، إلا أنها يبدو من كثرة الصدمات المتلاحقة تعلمت الجَلْد والتحمل، تعلمت ألا تستسلم لأحزانها طويلاً، دربت نفسها على أن تتخطى آلامها بسرعة دون الوقوع فريسة لليأس والإحباط.

المرأة كما طائر الفينيق، تنهض من وجيعتها أقوى.

سرعان ما استعادت ديانا توازنها مرة أخرى، فانهماكها في أعمالها الخيرية كان له الفضل الأعظم في ذلك، خاصةً أنها كثفت زياراتها لحقول الألغام، فلم تكتفِ بزيارة حقل ألغام بنجولا فقط بل امتدت لتشمل البوسنة، وكومبوديا، وفيتنام. شعرت بعد كل هذه الزيارات أنها بحاجة لأخذ قسطاً من الراحة، فكرت في البحث عن رحلة تقضي فيها أوقاتاً ممتعة خلال فصل الصيف.

خطت للقيام برحلة صيفية مع صديقها الأمريكي الملياردير "تيدي فورستمان" حيث دعاها وطفليها إلى الاختيار ما بين الإقامة في مسكنه بمنطقة "هامبتون" الساحلية أو بيئته في "أسبن" بولاية "كلورادو" اختارت ديانا منطقة هامبتون، إلا أن الأجهزة الأمنية أفستد عليها خطتها الترفيهية حيث رفضت قيامها بالرحلة لدواعي أمنية.

ديانا التي لا تهدأ ولا تستسلم كان لها حُطة بديلة، حيث هاتفت رجل الأعمال المصري "محمد الفايد" المقيم في بريطانيا صاحب سلسلة محلات "هاردروز" والصديق القديم لعائلتها، عرض عليها محمد الفايد الانضمام إلى

أسرته المكونة من زوجته وأطفاله الأربعة في مسكنه الساحلي الفخم في "سان تروبيه" بفرنسا، كان ذلك في أوائل يوليو عام ١٩٩٧ م .

- هذا المكان آمن جداً ومحمي ومؤمن بطريقة ممتازة سمو الأميرة فلا تقلقي .

- أشكرك سيد محمد، لقد أسديت لي معروفاً لن أنساه لك.

- لا تقولي هذا سمو الاميرة، نحن جميعاً في خدمتك أنتِ والأميرين الصغيرين، أهدك أنك ستقضي وقتاً ممتعاً هناك.

- يبقى لي شيئاً هاماً سيد محمد، عليّ تبليغ العائلة المالكة وأجهزة الأمن بهذه الرحلة، أنت تعرف أهمية الاجراءات الأمنية وأخذ موافقتهم.

- نعم أعلم بالتأكيد، عموماً بلغهم سموك وإذا تمت الموافقة هاتفيني لاصطحابك أنتِ والطفلين معنا على متن الطائرة خلال يومين.

- حسنٌ .

استشارت ديانا العائلة المالكة والأجهزة الأمنية، والغريب أنهم وافقوا هذه المرة، ولم يمانعوا في انضمامها لعائلة محمد الفايد وسفرها معهم إلى فرنسا.

- ألو سيد محمد، مرحباً.

- حصلت على موافقة العائلة المالكة والأجهزة الأمنية على مرافقتكم في رحلتكم إلى "سان تروبيه".

- أشكرك ، نعم سوف أستعد أنا والصغيرين لنكون جاهزين في الموعد المحدد للسفر.

- أراك بخير.

سافرت ديانا وطفليها برفقة عائلة الفايد ، وبينما كان وليام وهاري يتسابقان ب "الجت سكي" على شاطئ "سان تروبيه" كان المصورون والصحافيون يتسابقون لالتقاط صور للأسرة الملكية، بدأ توافد أعداد كبيرة من الصحافيين والمصورين إلى الشاطئ القريب من مسكن الفايد، ما سبب إزعاج لديانا وطفليها، فخرجت إليهم غاضبةً..

- إلى متى ستستمرون بملاحقتنا؟ لقد راقبتمونا في كل دقيقة كنا فيها هنا، ألا يكفي هذا؟

في هذه الأثناء، استدعى محمد الفايد ابنه "عماد الفايد" الملقب ب "دودي" من فرنسا ودعاها للانضمام إليهم، كان "دودي" شاب وسيم، في الخامس والثلاثين من عمره، يعمل كمنتجاً سينمائياً بهوليوود، كان شديد الثراء، يملك عدد كبير من السيارات الفاخرة.

- مرحباً سمو الأميرة، سرني إنضمامك لنا أنتِ وطفليكِ الجميلين.

- مرحباً سيد "عماد" أنا من سررت بهذا الانضمام، أنتم حقاً أناساً لطفاء للغاية.

- يمكنكِ مخاطبتي ب "دودي" أصدقائي المقربين يخاطبوني هكذا.

- حسنٌ "دودي" أظن أننا التقينا من قبل .

- نعم بالفعل، التقينا ثلاث مرات .

- أذكر منهم مرة في حفل العرض الأول لفيلم "في مثل هذا المساء".

- بالفعل، أما المرتان الأخريان في مباراة البولواتي كان يشارك بها الأمير

تشارلز، والمرة الثالثة في حفل العشاء ذاك الذي كان في الربيع

الماضي، أتذكرين.

- اه حقاً، تذكرت، فرصة سعيدة "دودي".

- أنا الأسعد سمو الأميرة.

- أنا أيضاً أحب أن يلقبني أصدقائي بـ "ديانا" فقط دون ألقاب، ألسنا أصدقاء الآن.
- طبعاً ديانا، هذا من دواعي سروري.
- كان "دودي" شديد اللطف مع ديانا وطفليها، كان يتفانى في إسعادهم.
- لقد استأجرتُ لنا مرقصاً للديسكو قريب من الشاطئ لمدة ليلتين حتى يتسنى لنا أنا وأنتِ ووليام وهاري وأفراد عائلتي الرقص بأمان دون إزعاج من أحد.
- أوه هذا لطف كبير منك "دودي" لا أدري كيف أشكرك على هذه المفاجأة الرائعة.
- لا داعي للشكر ديانا، فكل ما يهمني هو إسعادكم أنتِ والطفلين.
- لم تكن ديانا ترغب في مغادرة أسرة الفايد لولا ارتباطاتها الملكية التي كانت بانتظارها في لندن، ما اضطرها إلى إنهاء رحلتها الممتعة معهم.
- شكراً جزيلاً من أعماق قلبي "دودي" أنت والسيد محمد على كل ما فعلتماه معي ومع طفليّ، هذه أفضل عطلة قضيتها في حياتي.
- نحن من وجب علينا شكرك على مشاركتك لنا هذا الوقت الممتع ديانا.

بعد عودتها إلى قصر "كنزنتن" كان بانتظارها أربع باقات كبيرة من الورد، وساعة ذهبية قيمتها ستة آلاف جنيه استرليني أرسلهم "دودي" لها كهدية.

- أوه يا إلهي، ما كل هذا الجمال .. قالتها أول ما وقعت عينها عليهم فور دخولها القصر، تناولت بطاقة كانت مرفقة مع إحدى باقات الزهور وقرأت ما فيها ..

- "أرسلتُ إليك باقات من الزهور عليها تعبرك عما في قلبي، مع أشواقي الحارة" .. دودي الفايد.

رق قلبها لهذه الرسالة الرقيقة وسارعت بمهاتفة صاحبها.

- ألو "دودي" أشكرك جداً على هداياك الرائعة، ما هذه المفاجأة الجميلة؟ ألا يكفي كل ما فعلته من أجلي في "سان تروبيه"؟
- لم أقابل في حياتي إنساناً في لطفك هذا، أنت رائع حقاً.
- فكرة رائعة، لكنني وصلت للتو من فرنسا، لا يمكنني العودة هناك مرة أخرى، أحتاج لبعض الوقت للراحة، كما أنني لدي أعمالٌ هنا عليّ القيام بها.
- حسنٌ، يمكنني الانضمام إليك بعد أسبوع من الآن.
- إلى اللقاء.

فرحت ديانا بدعوة دودي للانضمام إليه في فيلته الخاصة بباريس، بدأ شعور لطيف يتسلل إلى قلب ديانا، هذا الشعور تعرفه جيداً، إنه الحب.

- هل معقول هو الحب؟ أهذه السرعة؟ حدثت نفسها.

بعد أسبوع من الدعوة سافرت ديانا بمفردها على غير العادة، فقد اعتادت كل مرة تسافر فيها اصطحاب طفلها معها إلا أنها فضلت هذه المرة تركهما في رعاية موظفي القصر!

قضت ديانا أسبوعاً في الجنة كما صرحت لصديقتها "دودي" كان هذا الأسبوع سبباً في تفرهما من بعضهما، تولدت بينهما مشاعر جميلة لم يكن أحدٌ منهما يتوقعها.

- أحبك ديانا.

- أنا أيضاً أحبك "دودي" ولا أدري كيف حدث هذا!

- الحب ليس له أسباب ولا مواعيد ديانا، أنا أحببتك من أول مرة رأيتك فيها على شاطئ "سان تروبيه" أنت تتمتعين بسحرٍ يخطف القلوب من أول وهلة.
- أنت أيضاً "دودي" إنسان لطيف وحنون إلى أقصى حد، ولكني أخشى شيئاً.
- تخشين ماذا؟
- سأصارك بشيء، أنا لتوي خرجت من علاقة عاطفية، أخشى أن يكون شعوري نحوك هو تعويض عن فقداني لهذا الحب.
- تغير وجه "دودي" بسماعه هذا التصريح من ديانا وصمت قليلاً ثم سألها ..
- هل لي أن أعرف من هو؟
- ردت ديانا بدون تفكير..
- حسنت خان .
- فكر "دودي" في الاسم كأنه سمع به من قبل.
- أليس هذا هو جراح القلب الباكستاني؟.
- اندهشت ديانا من معرفة دودي به.
- أنت تعرفه؟
- لا، لكني قرأتُ خبراً ذات يوم بصحيفة تتكهن بوجود علاقة بينكما دون تأكيد الخبر، لكني تأكدتُ منك الآن.
- نعم كان بيننا علاقة عاطفية لم يكتب لها النجاح.
- أيمكنني معرفة السبب؟ هذا إذا لم يزعجك.
- هو من أنهى العلاقة، العائلة المالكة حين وصل إلى مسامعهم الخبر أرسلوا له تهديدات، وامروه بإنهاء علاقته بي.

- تهديدات!
- نعم، أجبروه على تركي حتى لا أتزوجه.
- وكيف انصاع لتهديداتهم؟ لو كنتُ مكانه ما فعلت.
- حقاً "دودي"؟
- نعم ديانا، فأنا لستُ مثله، أنا قادر بعون الله على حمايتك، ولا يمكن لأحد أياً كان أن يمس شعرة من رأسك ما دُمْتُ على قيد الحياة، لكن دعيني أسألك، هل لازلتِ تحبينه؟
- لا، انسحابه من علاقتنا بهذا الشكل زرع مكانته في قلبي، أنا لا أحب الرجل الجبان، من يحبني يجب عليه أن يعلم أنه يعرض نفسه للخطر، ولو لم يكن على قدر كبير من الشجاعة والقوة بحيث يمكنه مواجهة أي شيء من أجلي فالأفضل له ألا يعرفني بالمرّة، منذ أن عرفتكَ "دودي" وأنا أراك تبذل كل ما في وسعك لإسعادي، بل وتوفر لي كل وسائل الأمن والحماية، أنت مختلف تماماً عنه بل مختلف عن كل من رأيتهم وعرفتهم قبلك.
- هذا يعني أنكِ تحبيني كما أحبك ديانا.
- نعم "دودي" أحبك جداً، أنت الرجل الذي تمنيته لنفسي طيلة حياتي، تمنيتُ لنفسي رجلاً حقيقياً أستند عليه، أغفو في كنفه وأنا مطمئنة، منذ طفولتي لم أنعم بالأمان لحظةً واحدةً، بعد زواجي تخيلتُ أن زوجي سيمنحني الأمان الذي أبحث عنه وافتقده، لكن ما حدث هو العكس، أصبح هو مصدر إزعاج وقلق بالنسبة لي.
- اقترب منها ووضع وجهها بين يديه وقربه من وجهه حتى تلاقت أنفاسهما وهمس لها قائلاً.
- سأعوضك عن كل ما فاتك حبيبتي.

ذابت ديانا في رفته وقوته، كم كانت تفتقد رجلاً مثله في حياتها.

كانت نهاية الأسبوع هي بداية لولادة حباً جديداً دب للتو في قلبها.

عادت ديانا إلى لندن وتركت قلبها في باريس، لم تعد تقوى على فراق حبيبها، اقترح عليها دودي قضاء أسبوعاً معه على يخت أبيه لقضاء جولة بحرية في عرض البحر الأبيض المتوسط، يبدو أنه هو أيضاً لم يعد يقوى على فراقها، وافقت ديانا على الفور، وقامت بإرسال الطفلين إلى قلعة بالمورال للانضمام إلى والدهما.

وهناك على شاطئ البحر فاجأ "دودي" ديانا بركوعه على ركبتيه مهدياً إياها خاتماً فخماً من الألباس الحر في حركة رومانسية رائعة منه راجياً الموافقة على طلبه بالزواج منها، لمعت عينا ديانا من روعة المفاجأة غير مصدقة كم الرومانسية والرقعة التي يتمتع بها حبيبها المصري.

- أوه يالها من مفاجأة رائعة "دودي" قلبي يكاد يقف من شدة خفقانه .. قالت ديانا ذلك والضحك والدموع تملأ عيناها في آن.

- سلامة قلبك يا حبيبة قلبي، حياتك معي ستكون مليئة بالمفاجآت السعيدة.

قَبَلَ يديها بشفتيه الحارتين الحانيتين وألبسها الخاتم في بنصر يدها اليمنى سائلاً إياها:

- هل تو افقين؟

- هزت ديانا رأسها بالموافقة والدموع تنهمر من عينيها، وأخيراً نطقت:

- نعم أو افق، أو افق وأحبك بكل جوارحي حبيبي.

حملها على ذراعيه، وجرى بها إلى البحر متجهاً نحو اليخت، استعداداً لقضاء أجمل اللحظات معاً بعيداً عن أعين المتطفلين، لكن كهادم اللذات

جاءتهم غريان الصحافة تطاردهم لتعكر صفو اللحظة الجميلة، فقد التقطت لهما صورة على متن اليخت لقبله ساخنة، وديانا ترتدي المايوه البكيني.

- ما هذا؟ ما الذي أتى هؤلاء الصحفيين إلى هنا؟ ألم يتركوني في حالي.. بكت ديانا.
- اهدأي حبيبتي، لا عليك منهم، لا تخشي شيئاً وأنا هنا بجوارك.
- إنهم يلتقطون لنا الصور "دودي"، ستملاً صورنا وأخبارنا صفحات الصحف والمجلات.
- وما المشكلة، نحن سنزوجه، ليفعلوا ما يحلو لهم.

قدرت الصور التي التقطت لديانا وصديقها بمبالغ طائلة وصلت إلى رقم كبير مكون من ستة أرقام مقابل نشرها في صحيفة "صن داي" والتي لفتت أنظار العالم إلى وجود علاقة رومانسية تمر بها ديانا مؤخراً.

"الأميرة ديانا تعيش قصة حب مع رجل أعمال عربي"، "هل أنهت ديانا علاقتها بالطبيب الباكستاني؟"، "ما السر الخفي وراء وقوع أميرة بريطانيا في حب رجال مسلمين؟!".. تلك هي العناوين التي كانت تتصدر الصحف آنذاك.

شعر "حسن ياسين" خال "دودي" بالخطر الذي يحيط بابن أخته جراء علاقته بديانا فهاتفه قلقاً..

- "دودي" حبيبي أنا أخشى عليك من هذه العلاقة، العائلة المالكة لن تهاون في هذا الأمر صدقني.
- سأنزوجه يا خال، سأنزوجه وأحميها، عندما تكون على ذمتي لا يمكن لأحد الاقتراب منها أو مني، لن يفصلني عنها سوى الموت.

قالها "دودي" وكأنه كان يعلم أن الموت قد أوشك على الاقتراب منهما وأنه الوحيد الذي سوف يفرق بينهما، وبرغم ذلك لم يتراجع عن حبه، وفضّل الموت معها عن الحياة بدونها.

أيضاً ديانا تملكها شعورٌ غامض جعلها تبعث بريقة لصديقتها ليزا في لندن مكتوبٌ فيها مقولة قد اقتبسها من أحد الكُتاب المشهورين تقول " سأذهبُ نحوَ النجوم الآن. ويوماً ما، عندما تودُ أن تذكيرني، انظري إلى النجوم."

فور وصول رسالة ديانا لصديقتها ليزا شعرت بانقباضة اعتصرت قلبها قلقاً على صديقتها فسارعت بمهابتها:

- ديانا ما عساها تلك الرسالة التي ارسلتها لي؟ طمأني أنتِ بخير حبيبتي؟

- اطمئي ليزا أنا بكل خير، كل الأمور هنا تسير على نحو أروع مما تتخيلين، دودي شديد اللطف معي للدرجة التي معها لا أصدق السعادة التي أعيشها، فقط شيء واحد يقلقني، وهو مطاردة الصحافيين لنا، ويجوز أن هذا هو السبب الذي جعلني أكتب لك تلك الرسالة، لكن دودي طمأني وقال لي أننا سنزوج قبل عودتي بريطانيا أي قريباً جداً فاطمئي عزيزتي.

برغم أن علاقة ديانا ودودي حديثة العهد حيث لم تستغرق أكثر من ستة أسابيع فقط، إلا أنهما أحبا بعضهما حباً كبيراً للدرجة التي أصبح معها البُعد مستحيلاً.

في نهاية شهر أغسطس وبينما كان العاشقين غارقان في شهد حبهما، خرجا من شقته بباريس بعد تناول العشاء سوياً، فوجئاً بعدد كبير من الصحافيين ينتظرانها بالخارج، لم تبال ديانا هذه المرة بمطاردتهم فقد

سأمت ملاحقتهم لها هي وصديقها في كل مكان، فقررت تجاهلهم، توجهنا إلى مرقد ليلى بفندق "ريتز" قضيماً فيه سهرتهما، خرجنا من الفندق في الثانية وعشر دقائق بعد منتصف الليل، ركبا سيارة ديانا التي كان يستقلها سائقها، ويجلس بجواره في المقعد الأمامي حارسها الشخصي، سيارات "الباباراتزي" كانت تسرع خلفهما بشكل غريب وكأنهم في سباق معهما، حاول سائق سيارة ديانا تحاشيهم والإفلات منهم، حتى وصل بهم إلى نفق جسر دالما، فزاد من سرعة السيارة أكثر من ١٠٠ كم/س رغم أن السرعة المصريح بها داخل النفق هي ٦٥ كم/س، فجأة اختلت عجلة القيادة داخل النفق، وبدأت السيارة في الترنج يميناً ويساراً ما أدى إلى ارتطامها بالعمود الخرساني الثالث عشر بالنفق ارتطاماً شديداً أدى إلى انقلاب السيارة ثلاث مرات.

وقع الحادث في تمام الساعة الثانية عشر وخمس وعشرون دقيقة من بعد منتصف الليل، وقد توفي كل من السائق ودودي عقب الحادث مباشرة، وكان الحارس الخاص في حالة حرجة فاقداً للوعي، وكانت ديانا في حالة خطيرة جداً وعلى وشك الوفاة.

كان هناك طبيب يدعى "فريدريك ميلز" يمر مصادفةً بسيارته من الإتجاه المعاكس ورأى الحادث، فأوقف سيارته وأخذ معه الحقيبة الخاصة به وتوجه بسرعة ناحية السيارة المحطمة، ولم يكن يعلم من هم الأشخاص الذين بداخلها، ولكنه أدرك أن السائق والرجل الذي يجلس في الخلف قد فارقا الحياة، فبدأ في إسعاف الرجل الثاني الذي يجلس في الأمام وهو الحارس الخاص، لأنه بدى أمامه أن حالته هي الأخطر، وقد تم وضع كمادة أكسجين على فم ديانا التي كانت فاقدة للوعي لمساعدتها على التنفس، ولم تستطع سيارة الإسعاف نقل أي من الضحايا إلا بعد مضي ساعة بعد أن تم إخراجهم من حطام السيارة.

في الساعة الواحدة والنصف صباحاً وصلت ديانا إلى مستشفى "لابيت سالبيتيرير" ودخلت غرفة الطوارئ وأجرى لها الجراحون عملية لإيقاف النزيف عن الوريد الممزق، وفي أثناء العملية توقف القلب عن النبض فجأة، حاول الأطباء إعادتها للحياة مرة أخرى عن طريق إنعاش القلب، لكن فشلت كل المحاولات.

ماتت "أميرة القلوب" عن عمر ناهز السادس والثلاثين .

وصلت جثتها بعد ستة أيام إلى إنجلترا، وشيعت جنازتها التي شاهدها نحو إثنان ونصف بليون شخص حول العالم.

وقد أحدثت وفاتها صدمة وحزناً كبيراً في أرجاء العالم كله، وشهد رصيف القصر الملكي في لندن أطول طابور لأكاليل وباقات الزهور التي وضعها الناس من كل شبر في أرجاء الكرة الأرضية من أجل الأميرة الراحلة. كان من بين مئات الآلاف من باقات الزهور تلك، كانت هناك باقة زنباق سوداء، وكان عليها بطاقة صغيرة مكتوب فيها بحروف اللغة الهيروغليفية، جملة من كلمتين هما .. «وداعاً يا أختي» .

التوقيع .. «أخ فرعوني مازال على قيد الحياة!»

تمت



رسالتنا في المكتبة العربية للنشر والتوزيع:

- نشر كل إنتاج إبداعي ذي جودة عالية و أفكار أصيلة تعبر عن هويتنا العربية وتاريخنا العريق، تحترم قيم مجتمعنا ومعتقداته، لا تساعد في نشر العنف أو العنصرية، ترسخ لمبدأ المساواة والحرية والعدالة. والسعى نحو الارتقاء بالأدب العربي في كافة مجالاته، والوصول به نحو العالمية.

لمراسلتنا بشأن نشر الأعمال الأدبية



arabiclibrary2017@gmail.com

صفحتنا على موقع الفيسبوك

facebook

facebook.com/arabiclibrary2017